قلوب عبير

بالاشتراك مع راديو مونت كارلو

فيوليت وينسبير

رحلة العمر
إلى
شواطئ اليونان
وجزره

البديلة

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة

قلوب عبير

HARLEQUIN — "ABIR" — No. K 4

www.elibrary.com

البديلة

«لا يحق لك خطفي. سيعاقبك القانون».

«القانون؟ لا أعرف غير قانون واحد... هل سمعتِ؟ الثأر ما زال الشكل الوحيد والأكيد للعدالة. عندما فتحت لي الباب مساء امس أدركت انه من اللياقة ان أعيد لدمسكينوس عذراءه مبللة بالعار، مهانة... فهمت في الحال ما الذي جذبه اليك... هذه الهالة من الحشمة والبراءة التي تلفك. انه يجمع الحجارة النادرة الخالية من أي خطأ، أليس كذلك؟».

«أجهل ما يجمعه. كم من مرة عليّ ان أردد على مسمعك انني لست خطيبته. لو رأيت اختي تستدرك خطأك. انها شقراء، جميلة تسحر الألباب وتجذب العديد من الرجال».

أجابها بنظرة احتقار:

«هل تتصورين اننا نستلطف الفتيات اللواتي يعاشرن الرجال؟ دمسكينوس يوناني مثلي. سأجرح قلبه حتى الموت عندما أعيد له خطيبته بعد ان أنال منها ما أريد».

قالت بصوت منقطع:

«انت مجنون كلياً. دمسكينوس لا يعرف حتى من أكون!».

لبنان ١٠ ل.ل.	الكويت ١ د	اليمن ٤ ر	السودان ٨٠٠ م
سورية ١٠ ل.س.	الامارات ١٢ د	تونس ١٥٠٠ د	U.K. £ 150
الأردن ٨٠٠ ف	البحرين ١٥٠٠ د	ليبيا ١ د	France F 10
العراق ٥٠٠ ف	قطر ١٢ ر	المغرب ٥ د	Greece Drs 200
السعودية ١٢ ر	عمان ١٥٠٠ ر	مصر ١٠٠ ق	Cyprus P 1500

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية
THE AWAKENING OF ALICE

© VIOLET WINSPEAR 1978
© 1984 Harlequin (Cyprus) Ltd.

حقوق التأليف: فيوليت وينسبير
جميع حقوق الطبع والنشر والاقتباس والترجمة محفوظة لهارلكوين
(قبرص) المحدودة

المراسلات:
Harlequin (Cyprus) Ltd.
29 Michalakopoulou St.
Athens T.T. 612, Greece

Printed in Great Britain by
Richard Clay (The Chaucer Press) Ltd, Bungay, Suffolk

١ ـ أليس شيلدون تواجه اختها البيرتا التي قررت عدم الذهاب الى اليونان للالتحاق بخطيبها. وحين تذهب بدلاً عنها تدهمها احلام لم تكن تعرف لها شبيهاً في حياتها الرتيبة...

السفر يفتح العقل... لكن ماذا ستجني اليس شيلدون من هذه الرحلة الى اليونان، سوى الاحساس الكئيب بالدوران في الفراغ؟ يضيع نظرها وراء نافذة الطائرة، ولا ترى الا وجه اختها الجميل المرتعب وصوتها الحزين:

ـ آه، سيقتلني!

كان صوت البيرتا العذب يرتجف قلقاً وهي تقول:

ـ لقد وعدته بالزواج والآن اتهرب في آخر لحظة، بعد ان بعت خاتم الخطبة لأشتري به بطاقة السفر الى سيلان... لا، يا اليس، لا تحاولي تغيير رأيي. سأذهب الى سيلان للقاء هاري. توفيت زوجته واصبحنا قادرين على الزواج. فانا لا احب ايونيدس، بل

www.elromancia.com

كنت مولعة بماله. ولا شك انه يعرف ذلك. لأن احداً لا يمكنه التعلق بهذا النوع من الرجال.

ـ ماذا تعنين؟

لم تكن اليس تعرف خطيب البيرتا، الرجل اليوناني الذي تعرفت اليه شقيقتها خلال رحلة قامت بها الى جزيرة كريت. كل ما تعرفه انه يكبرها بسنوات عديدة. واضافت تقول:

ـ انت لم تحدثيني ابداً عن خطيبك الثري اذن... ماذا تعنين؟...

ـ حسناً. ايونيدس رجل معاق، هذا كل ما في الأمر. جزءه الاسفل مشلول كلياً. هل تريدني ان ارسمه لك؟

فوجئت أليس بهذا الكلام غير المتوقع، ثم قالت:

ـ وكيف بامكانه اذن ان يقتلك؟

ـ انت لا تعرفين الطباع اليونانية!

هزت البيرتا شعرها الاشقر الناعم.

وبعينيها الزرقاوين المختبئتين وراء النظارات حدقت في وجه شقيقتها واضافت تقول:

ـ وخاصة ايونيدس بالذات - حراسه ومرافقوه يكرسون له روحهم وجسدهم. كلمة منه تكفي كي يضربوني حتى الموت!

صرخت اليس قائلة:

ـ لا تبالغي، يا اختي! الاشخاص المتمدنون لا يتصرفون على هذا النحو.

ـ طبعاً، الاشخاص المتمدنون. لكن اليونانيين ليسوا متمدنين على النحو الذي تعتقدين. انهم يتمتعون بشيء وحشي وبدائي يرعبني. ايونيدس رجل ثري يربح اموالاً طائلة بمراكبه البترولية

وشاحناته ويكفي ان يرفع اصبعه الصغير، ليطيعه كل من يتعامل معه... انا احب هاري، يا أليس، واخاف ان ينتقم منه.

ـ انت تهذين، يا البيرتا. كيف باستطاعة رجل معاق الانتقام من شخص يعيش على مسافة آلاف الكيلومترات من اليونان؟ هيا، اصمتي. اذا كنت حقاً لا تريدين الزواج من ايونيدس، فما عليك الا مواجهته بالأمر بصراحة. قولي له ان هاري فقد زوجته وانك تعرفينه منذ زمن بعيد وما زلت تحبينه وتريدان الزواج. فسيفهمك جيداً ما دام ذكياً الى حد انه تمكن من الحصول على ثروة ضخمة.

اجابت البيرتا بيأس ومرارة:

ـ طبعاً لا.

تعرف أليس تماماً الأنانية المخبأة وراء مظهر شقيقتها الملائكي. وهذا الذي جعل هاري يتزوج من امرأة اخرى. لكن زواجه لم يكن سعيداً. والآن... كلا، لا شك ان البيرتا تبالغ في الأمر. فاليونانيون ليسوا مهتمين للثأر الى هذه الدرجة. لكن لم يسبق لأليس ان تعرفت على اي يوناني... كل ما تعرفه ان معظم الرجال بشكل عام يتجاهلونها. وفي الرابعة والعشرين من العمر ما زالت تعيش حياة رتيبة ويائسة:

ـ تابعت البيرتا الحديث قائلة:

ـ بالنسبة الى اليونانيين، الخطبة تقيد مثل الزواج. لم يسمح لي ايونيدس بالعودة الى انكلترا الا من اجل شراء جهازي. ولما وصلت الى هنا تلقيت رسالة هاري من سيلان... وانا الآن حرة للزواج منه و...

ـ اذن كل هذه الملابس التي اشتريتها هي من مال ايونيدس دمسكينوس، اليس كذلك؟

www.elromancia.com

ـ طبعاً! ومن اين لي المال؟ معاشي لا يسمح لي بارتداء الملابس الفاخرة! والمال الذي تركه لي والدي تبخر منذ زمن طويل. آه، يا اليس، عليك مساعدتي للتخلص من هذه الورطة!

سألتها اليس بجفاف:

ـ وماذا تريدينني ان افعل؟ ان اذهب الى كريت واقترح على ايونيدس ان احل مكان شقرائه الجميلة؟

صرخت البيرتا قبل ان تفهم مزاح شقيقتها.

ـ ان تحلي مكاني؟ هل تمزحين؟ لا ينظر الاثرياء الا الى النساء الجميلات... وهذا لا ينطبق عليك، يا عزيزتي المسكينة!

ابتسمت أليس من دون استياء، لقد اعتادت من زمان على سخرية اختها. ثم، اليس واضحاً داخل العائلة ان أليس هي الذكاء والبيرتا هي الجمال؟

ـ اسمعي، يا البيرتا، انت التي وضعت نفسك في هذا المأزق وعليك انت وحدك الخروج منه. لا يمكنك الا ان تتحلي بالصراحة الكاملة معه. ولن يجد صعوبة في لقاء امرأة اخرى بجمالك.

اجابت البيرتا بحزن:

ـ انت تغارين مني لأن الرجال يهتمون بي، بينما لا احد يهتم بالنظر اليك. نعم، انني اشعر بالنشوة تجاه اعجاب الرجال بي... لكن هاري هو الرجل الذي اريد وليس شخصاً آخر... ولن اشعر ابداً بالشجاعة لأقول ذلك لايونيدس. اعتقد انني سأطير الى سيلان مباشرة.

ـ وستحملين ثمن خاتم الخطبة!

لم تكن اليس تغار من اختها الجميلة المدللة، لكنها مضطربة لرؤيتها ترفض رجلاً معاقاً بهذه الطريقة الوقحة. طبعاً لم يكن الحب

وارداً في هذه القضية. لكن من هو الرجل الذي لا يغضب عندما تتركه خطيبته بهذه الطريقة؟ صحيح ان الاثرياء لا يبالون بالمصاريف عندما يغدقونها على النساء الجميلات، لكنهم لا يحبون ايضاً ان يذهب المال سدى بهذا الشكل.

قالت لها البيرتا:

ـ ارسلت له برقية. وآمل ان يتفهم الوضع...

توقفت عن الكلام وعبر وجهها ظل قاتم فأضافت تقول:

ـ انا خائفة، يا اليس. طبعه قاس وعنيف. وتروى عنه امور كثيرة. لقد انتقم من الرجل الذي عذب شقيقته الكترا بطريقة رهيبة... كما انه متهم بقتل خادمة الأولاد لأنه اعتبرها سبباً في اغراق ابن اخته المذكورة...

قالت اليس مرتعبة:

ـ انها مأساة حقيقية!

ـ نعم، ما اقوله صحيح. والكترا اكدت لي صحة هذه الأقاويل. كان ايونيدس يحب الصبي حباً كبيراً ويعامله كابنه. وبعد ان غرق ومات، وجدت جثة الخادمة غارقة في البركة. وانتهى التحقيق بأن الخادمة انتحرت. لكن الرأي العام متأكد بأن ايونيدس قتلها... هل تفهمين الآن لماذا يرعبني؟

... مهما تكن حقيقة هذه القصة، لا شك ان ايونيدس دمسكينوس شخصية شديدة الخطورة.

اخيراً قالت أليس:

ـ نعم. ومن الأفضل لك الزواج من هاري. سأذهب بنفسي الى اليونان وسأشرح لهذا الرجل الثري الوضع بكامله.

هتفت البيرتا فرحاً:

- آه، ستفعلين ذلك من اجلي؟ الا تخافين من غضبه؟

هزت أليس رأسها وقالت:

- في كل حال، من الصعب عليه ان يسبب ضرراً لجمالي.

من زمان وهي مقتنعة بأن الفتاة التي ترتدي النظارات لا تجذب الرجال. ومن اجل ان تنسى حياتها العاطفية الفارغة، انصبت على العمل المتواصل. تخصصت في فن الرسم ونجحت فيه كلياً. وكم من مرة جلست في المساء تحيك الصوف وتطرز الملابس، قرب الشاشة الصغيرة، بينما تلبي البيرتا دعوات العشاء، والسهرات المنهمرة عليها من قبل المعجبين العديدين. وكم من مرة سمعت كلمات الاطراء الكثيرة على اختها ورأت نظرات الاشمئزاز والشفقة حيالها، وسمعت الضحكات الساخرة والمتآمرة. لكن أليس المسكينة، ذات القلب الدافىء والكريم، كانت ترغب حتى الجنون في جذب انتباه الرجال اليها الا ان وجهها الصغير الهادىء والمتحفظ، المختبىء وراء النظارات لم يكن يجذب احداً. لذلك من يستطيع معرفة حدة ذهنها ودفء عينيها؟... هدنة تأسفات عاقرة...

الطائرة تحلق فوق مطار اثينا. اقفلت حزام المقعد وبدأت الطائرة بالهبوط.

ماذا ستكون ردة فعل ايونيدس دمسكينوس عندما يرى اليس بدلاً من البيرتا؟ لماذا وافقت على القيام بهذه المهمة الغامضة؟ اليس هذا جنوناً؟

بعد نصف ساعة، حل الليل واوصل التاكسي اليس الى فندق ميتروبوليس، في قلب اثينا، حيث حجزت غرفة لمدة اسبوع. في مثل هذا الفندق الفاخر يتكلم الموظفون الانكليزية بطلاقة.

الغرف كانت مشمسة ومريحة. خلعت حذاءها وراحت تمشي على البساط الطري. ثم فتحت حقيبتها ووضعت امتعتها داخل الخزانة وقررت ان تتصل بمطعم الفندق وتطلب ان يحضر لها الطعام الى غرفتها. فرفعت سماعة الهاتف وقالت للصوت الذي اجابها:

- اريد منك احضار الطعام الى غرفتي. هل تتكلم الانكليزية؟

- نعم، يا سيدتي، انا اتكلم الانكليزية. ماذا تريدين؟

قالت أليس بتردد، مستغربة لهجة الرجل القاسية والغريبة:

- اريد طبقاً من «الموساكا» انه مصنوع من اللحم المفروم والباذنجان المقلي، اليس كذلك؟

- نعم، يا سيدتي. انه طبق محلي لذيذ الطعم. هل بامكاني ان انصحك بتناول طبق من الكوسى المقلية معه؟

- تماماً.

- هل تريدين قطعة شمام اولاً وصحناً من الحلوى والقهوة في آخر العشاء؟

احمرت وجنتاها ووافقت قائلة:

- حسناً.

لماذا هذا الصوت المتعجرف يحدث فيها توتراً غريباً؟

- هل بامكاني ان اسألك عن اسمك وعن رقم غرفتك؟

- غرفة رقم ١٢٠ اسمي الآنسة شيلدون.

بعد ثوان عديدة قال الرجل:

- الآنسة أليس شيلدون، اليس كذلك؟

- نعم.

- وصلت من انكلترا؟

اجابت باندهاش:

www.elromancia.com

- طبعاً.

- سيصل العشاء بعد قليل.

اخذت اليس دوشاً سريعاً. ونظرت الى عينيها في المرآة، هاتين العينين الرماديتين الزرقاوين الحالمتين اللتين لا تفارقهما النظارات، ذات العدسات السميكة.

لماذا يعتبرها الآخرون مثل راهبة خالية من الانوثة، او فتاة صغيرة محتشمة وقبيحة؟ انها ترغب بالوقوع في الحب كأي انسان آخر. هل هي حقاً غير جذابة؟ وعندما رفعت الدبابيس عن شعرها المرفوع انسدل شعرها الكستنائي على كتفيها كالحرير فوق بشرتها العاجية الملساء.

وكانت البيرتا تردد على مسمعها مرات عديدة قائلة:

- لا تعرفين الاعتناء بجمالك. لماذا ترفعين شعرك كعكة الى الوراء وتخبئين عينيك وراء هذه النظارات القبيحة! من الافضل ان تضعي عليهما الكحل والظل، فتصبحان كبيرتين وجذابتين!

وكانت اليس تجيبها:

- وما فائدة كل هذا؟ الرجال لا ينظرون الى امرأة ترتدي النظارات.

- اخلعيها اذن!

- وكيف ارى؟...

راحت أليس تستمتع بماء الدوش الساخنة. بشرتها لم تلوحها الشمس مثل بشرة البيرتا التي تقضي عطلات الاسبوع على شاطىء البحر برفقة شلة من الاصدقاء. ولا مرة دعيت أليس الى الانضمام الى هؤلاء... فوجود البيرتا يعني دائماً المرح واللعب، اما وجود أليس فيعني الكتب ودفاتر الرسم.

وبينما كانت تتمتع بهذا الحمام راحت تفكر وتقول لنفسها: آه، لو ابذل جهدي كي اتشبه قليلاً بأختي، لو اعطر نفسي وارتدي ثوب الموسلين الزهري الذي اشتريته خصيصاً لهذه الرحلة!

هل اجرؤ على الظهور بهذا الفستان الشفاف عندما يدخل خادم الفندق الى غرفتي جالباً لي العشاء؟ البيرتا لا تتردد لحظة واحدة. تحب ان تكون قبلة الانظار... آه، يا الهي، كم اتمنى ان ارى عيني رجل ترتجفان لدى رؤيتي... عمري ٢٤ سنة ولم اتمتع بعد بهذه السنوات. لا ينظر الرجال اليّ الا بلامبالاة وتهذيب. هل صحيح انني غير قادرة ان اثير اعجاب الرجال ولهفتهم؟

بعد ان جففت جسمها وضعت البودرة ذات العطر الرفيع ثم ارتدت فستانها الزهري فوق بشرتها المعطرة واحتلها الخجل. لماذا هذا العطر وهذه الملابس الثمينة الوقحة؟ اي جنون احتلها لصرف هذا المبلغ من المال لشراء امتعة السفر؟ هل كانت تأمل بالسر لقاء الرجل المناسب في بلاد اليونان؟

تركت شعرها ينسدل على كتفيها وقررت عدم ارتداء نظارتيها لئلا تفسد مظهرها الجميل. ثم ابتسمت لنفسها امام المرآة وقالت:

- الا تخجلين، ايتها المجنونة؟ اي لعبة تلعبين؟ هل تلعبين دور أليس في بلاد العجائب؟ ماذا سيفكر الناس عندما يرونك هكذا؟

فجأة سمعت طرقاً على الباب. فتحته ودخل الخادم دافعاً امامه طاولة الطعام. شعرت أليس فجأة بالخجل. لماذا خطر ببالها ان تقلد اختها؟

احست نظرات الرجل تحدق بها. ثم قال وهو يدل الى طاولة مستديرة صغيرة موضوعة بين نافذتين مفتوحتين على الليل والسماء المليئة بالنجوم:

www.elromancia.com

- هل ترغبين في ان اضع الطعام على هذه الطاولة؟

يا الهي! انه الصوت نفسه الذي سمعته على الهاتف! نظرت الى الخادم بطرف عينيها. كان ممشوق القامة. سترته البيضاء تظهر بوضوح عينيه وشعره الأسود. اشتبكت نظراتهما وارتجفت أليس في داخلها. هل يعرف انها لا ترتدي الا هذا الثوب ولا شيء سواه؟

- لقد . . . هل انت من اجابني على الهاتف، منذ قليل؟

- نعم.

ثم توجه لتحضير الطاولة. وما ان انتهى حتى عمت رائحة الموساكا، ارجاء المكان، فتذكرت أليس انها تتضور جوعاً.

- كل شيء حاضر. . .

وضع كرسياً امام الطاولة وترددت في اجتياز الغرفة امام نظراته الفاحصة، وفي فستانها الشفاف الضيق. لكنها اقتربت اخيراً من الطاولة في وقاحة لم يسبق ان شعرت بها من قبل. قدماها تعثرتا ببساط صغير لم تره وكادت ان تقع لو لم يقفز الخادم الى الأمام ويوقفها. فانغلقت ذراعاه حولها بقوة، كالفخ الحديدي. وخلال لحظة قصيرة بدت لها ابدية، شعرت بقبضته. فنظرت اليه وتفحصت ملامحه: بشرته السمراء وفمه الكبير وحاجباه العريضان وانفه المستقيم. . . حاولت التخلص منه بجهد وهي تقول:

- انا. . . حسناً . . . شكراً. . .

بعد ثوان عديدة ابعدها عنه وتوجه الى الباب وقال:

- سأعود بعد قليل لآخذ الطاولة يا آنسة.

اختفى بسرعة ووجدت أليس نفسها وحيدة وسط الغرفة، ترتجف كورقة في مهب الريح، لأول مرة في حياتها يضمها رجل بين ذراعيه بهذه القوة!

شيئاً فشيئاً استعادت برود اعصابها وراحت تؤنب نفسها. ثم جلست على الكرسي ووضعت الفوطة على حضنها وراحت تسكب لنفسها الموساكا. هذا الخليط الشهي المؤلف من الباذنجان واللحم المفروم والجبنة وخالصة الطماطم والبيض المسلوق. . . انه حقاً رائع. ولما انتهت من الطعام، توجهت نحو النافذة وراحت تحتسي قهوتها وهي تتأمل اضواء المدينة.

غداً ستذهب لاكتشاف اثينا. . . امامها الوقت كله قبل الاتصال بايونيدس دمسكينوس.

القهوة التركية كانت حلوة ومرة في آن واحد. فجأة شعرت بالبرد، فأغلقت الستائر السميكة وتنهدت وملأت فنجان قهوة آخر. عملها كان ينسيها الوحدة المريرة التي تعيشها. لكن في هذا المساء بدأت تشعر بالوحدة القاسية، في هذا البلد الغريب وفي لباس انيق كأنها على موعد . . . مع حبيب ما!

تثاءبت وجلست في المقعد وشعرت بالتعب. بعد قليل ستتوجه الى فراشها وستنسى في النوم كل اشواق قلبها العطشان الى الحب. يا لسخرية القدر!

وضعت فنجانها على الطاولة واتكأت على الوسائد، عيناها ثقيلتان لكنها لا تريد الذهاب الى فراشها قبل ان يأتي الخادم ليأخذ الطاولة. إذا رآها هذه المرة في قميص النوم، الله وحده يعرف ما سيدور في رأسه. تباً لك ولاحلامك السخيفة! لا شك ان لهذا الرجل زوجة واولاداً يحبهم. هل لاحظ ما انتابها حين اقترب منها في اللحظة المناسبة؟

تعيش كبتاً وحرماناً؟ حبست زفرتها. اي جنون ان تأتي الى اليونان. . . بلاد افروديت، رمز الحب الذي انبثق من المياه وبلاد

آبولون، ابن النور، رمز الجمال الكامل...

غداً ستعود الى قناعها الطبيعي، بكعكستها المرفوعة ونظارتيها السميكتين ولباسها المحتشم. تشعر الآن بالوحدة اكثر من قبل. نعم، غداً ستنسى هذا اللقاء القصير مع آبولون الجميل، ذي الشعر السميك والعينين اللوزيتين اما هي فليست سوى ابنة رزينة وجدية، تدعى شيلدون، فتاة لا تجذب الرجال.

اطلقت زفرة لا ارادية وتمددت في مقعدها بارتياح وتناثر شعرها حول وجهها وكتفيها وغطت في نوم عميق.

وراحت تحلم. وفي الحلم رأت آبولون الجميل من جديد وهو يلفها بعباءة سوداء واسعة، راحت تتخبط في البداية، لكنه في النهاية حملها الى جزيرته المشمسة...

٢ - استيقظت أليس في... زورق العجائب لتجد نفسها خارج الفندق، خارج كل التوقعات. ومتوجهة الى مكان بعيد... خارج العالم المتمدن مع رجل ينهش الثأر قلبه!

صوت جرس ايقظ أليس. ثم عمّ الصمت من جديد. شعرت سريرها يتأرجح بها، تمطت وجلست نصف جلسة، فانزلق شيء احمر عن كتفيها. وفي اندهاش كلي راحت تنظر حولها. هل تحلم؟ نعم، هذا حلم وليس حقيقة. لمست الغطاء الذي يلفها... انه عباءة سوداء مبطنة بالحرير الاحمر.

يا الهي! انها حقيقة وليست حلماً! وبسرعة البرق استعادت ذاكرتها. القت نظرة جنونية على الغرفة المزخرفة حولها: البساط الصوفي السميك يفترش ارض المكان المصنوعة من قطع الخشب. على احد الرفوف كتب عديدة، وعلى آخر، ساعة حائط برونزية. نافذتان صغيرتان مستديرتان مجوفتان في الجدار تدخل منهما اشعة

www.elromancia.com

الشمس.

سمعت صوت خطوات وبعد قليل انفتح الباب ورأت رجلاً ممشوقاً يقف على العتبة. كان يرتدي سترة مصنوعة من جلد الغنم ويحمل بيده فنجاناً ساخناً. قال بصوت أليف:

- صباح الخير. ها انت يقظة، كما ارى.

راحت أليس تتأمل باندهاش الرجل الذي رأته في فندق المتروبوليس بلباس خادم المقهى، ثم قالت متلعثمة:

- اين ... اين انا؟ هل انا خارج الفندق؟

- بالفعل، يا آنسة شيلدون.

اقترب منها حتى كاد ان يلمسها. فالتفت على نفسها داخل العباءة فأضاف:

- انت على متن زورقي، نبحر باتجاه جزيرة سوليتاريا. هيا احتسي قهوتك قبل ان يغمى عليك من شدة الصدمة.

مد لها الفنجان، فارتجفت قليلاً وتراجعت الى الوراء وقالت:

- لا شك انك وضعت في داخله مخدراً كما فعلت بالقهوة التي شربتها مساء امس!

- عظيم! انت تتمتعين بذكاء حاد.

إبتسم بسخرية وقال:

- هذه القهوة لا مخدر فيها. احتسيها لتستعيدي وعيك ونشاطك. انت شاحبة حتى البياض، ولا اريد ان اراك غائبة عن الوعي. هيا، اشربي.

كان ذلك امراً مفروغاً منه. كانت حنجرة أليس جافة، فتناولت الفنجان من دون مناقشة. اذن هذا اليوناني خطفها. لكن لماذا؟ نظرت اليه بعينيها القصيرتي البصر وقالت:

- لا افهم. ماذا... ماذا تنوي ان تفعل بي؟ اذا كنت مصمماً ان تحصل على فدية، فسيخيب املك.

بعد صمت قصير اجاب:

- اطلب العدالة والانتقام. وانتظرت مدة طويلة لأحقق ذلك، يا آنسة شيلدون. ليس في نيتي ان اطلب فدية كي احررك.

- لكن ماذا ... انا ... انا...

راح قلبها ينبض بسرعة جنونية. فقال ببطء:

- انت خطيبة ايونيدس دمسكينوس. ولهذا السبب انت هنا.

هزت أليس رأسها وقالت:

- انت مخطىء! ادعى أليس شيلدون... واختي هي التي كانت تنوي الزواج منه!

- اختك؟ انت ذكية وفطنة، لكنك غير قادرة ان تسخري مني بسهولة. عندما رأيت اسمك في سجلات الفندق، عرفت تماماً انك جئت الى اليونان لهدف واحد، وهو الزواج من رجل اكرهه حتى الموت.

وبوجه قاتم راح يذرع الغرفة الضيقة بخطواته السريعة. اما أليس فكانت تحدق به وتتساءل بقلق كيف تتوصل الى ايجاد طريقة لتهدئة روعه وافهامه خطأه. كان قلبها ينبض بقوة الى درجة الاختناق. فقالت بلهجة متوسلة:

- اسمعني، ارجوك. لم يسبق ان رأيت ابداً خطيب اختي...

- انت كاذبة.

اقترب منها وراح ينظر اليها بغضب ويقول:

- ولماذا جئت الى اليونان اذا كنت لا تنوين الزواج من هذا الرجل؟ لا ضرورة للكذب، يا آنسة شيلدون ولا تتذرعي بالبراءة. لا شك

www.elromancia.com

ـ ان تمارا، هي ايضاً، حاولت طلب الرجاء من جلادها، لكن هذا لم ينقذها من الموت.

رجعت أليس قليلاً الى الوراء وسألته:

ـ ماذا... ماذا تقول؟

رأى الفنجان يرقص بين يدها، فتناوله ووضعه بعنف على الرف وقال:

ـ آه، الا تعرفين؟ الم يخبرك احد الى اي عائلة ستنضمين؟

ضحك ساخراً وبمرارة واضحة ثم اضاف:

ـ لا؟ لا شك انه اراد انتظار ان يتم الزواج قبل ان يقوم بهذا النوع من البوح.

قالت باصرار:

ـ لكن عليك ان تفكر جيداً. رجل ثري لا يفكر لحظة واحدة بالزواج من امرأة مثلي!

ـ امرأة مثلك...

راح يتأمل وجهها من دون شفقة، ابتداء من شعرها المنسدل وانتهاء بصدرها اليانع. مد يده وشعرت أليس بالهلع وهو يلامس كتفيها باصابعه القاسية. فجأة جذبها اليه، فسقطت العباءة ارضاً. فراحت أليس تتخبط، لكنه كان يمسكها بقوة ثم عانقها بوحشية ليرغمها على الخضوع. كانت تنوح كالاطفال والدمع ينهمر من عينيها. اطلق شتيمة وابعدها عنه فسقطت على الوسائد. ظل يحدق بها ويقول:

ـ من انت اذن؟ ممثلة بارعة ام طفلة في جسم امرأة؟

اجابت بتلعثم:

ـ انا... انا أليس شيلدون. لماذا... لماذا لا تريد ان تصدقني؟

ـ بلى، انا اصدقك. جئت الى اليونان للزواج من رجل غني معاق، محكوم عليه في البقاء على الكرسي المتنقل. هذا الأمر يناسب ولا شك طبعك ومزاجك، اليس كذلك؟ تنوين الحصول على ما تريدينه من هذا الرجل من دون ان تقدمي له شيئاً في البديل، اليس كذلك؟ لكن الامر لن يتم كما خططت له. انت الآن بين يدي، ايتها الفتاة الباردة، ومتى يعرف ايونيدس دمسكينوس ما حل بك، سيفقد عقله لشدة ما سيتألم.

انتفضت اليس لدى سماعها هذه الكلمات اللاذعة، وهمست بصوت مخنوق:

ـ لماذا... لماذ تكرهه الى هذه الدرجة؟

اجابها بلهجة ساخرة:

ـ وماذا يهمك ان عرفت؟ هل تشعرين بالمحبة تجاهه؟ آه، لن اصدق ذلك ابداً.

احتجت واجابت:

ـ انا لا اعرفه.

ـ اعداؤه فقط يعرفونه.

راح يداعبها بيد خبيرة. فانتفضت. فابتسم وقال:

ـ كأنما لم يلمسك احد من قبل! لكنني سمعت الكثير عن الانكليزيات بأنهن يفقدن براءتهن باكراً. لن تدعيني اصدق بأن... هل بامكان ايونيدس ان يعثر على فتاة عذراء... آملاً في ان يحتفظ بها لنفسه؟ ولم لا؟

قالت أليس محاولة النهوض من دون جدوى:

ـ لا افهم ما تقوله.

ارتجفت أليس من لمسته اللجوج وقالت:

www.elromancia.com

ـ ارجوك . . . ابتعد عني!

هز رأسه وقال:

ـ هل انت جدية! بعد كل العذاب الذي عانيته كي اتمكن من خطفك! لن تتخلصي مني مهما فعلت وبكيت وتوسلت. واذا كنت حقاً عذراء، فسأكون سعيداً ان آخذ وجهك. وسألقن ديونيدس درساً لن ينساه في حياته. . . ولن يكون ذلك الا انتقاماً عادلاً للطريقة التي غرقت فيها تمارا في حوض السباحة. لقد اتهمها بأنها هي التي سببت غرق ابن اخته!

تذكرت أليس ما اخبرتها به البيرتا عن موت ابن اخته وعن مقتل الخادمة والأقاويل التي تدور حول ذلك. . . فنظرت الى الرجل مثل عصفور مصعوق ينظر الى حية تستعد لابتلاعه. وقالت:

ـ تمارا. . . مربية الأولاد؟

ـ آه، انت على علم بذلك، كما ارى.

بعنف امسك بشعرها وقال:

ـ ماذا سمعت عنها؟ الاشاعات الكاذبة نفسها؟ بأن تمارا خطيبتي، اخذت الصبي الى السباحة واغرقته؟ هذا امر غير معقول. انا اعرفها منذ الصغر. ترعرعنا جنباً الى جنب في القرية نفسها. كانت جميلة وطيبة، واي ولد يشعر بالأمان معها. كلا. ان اليكترا دمسكينوس هي التي ارادت التخلص من ابنها، هذا الابن الحرام، وذلك للتهرب من العار وخوفاً من انتقام اخيها. وبعد ان دبرت غرقه، اتهمت المربية بذلك.

راح يهزها بغضب وخافت أليس ان يقتلع شعرها. فراحت تبكي وتقول:

ـ انت قاس وفظ مثل دمسكينوس!

ـ آه، لو انني لا اضبط نفسي فأنا قادر على خلع عنقك!

صرخت من شدة الألم. فتركها فجأة، فتقوقعت على السرير مرتجفة وخبأت رأسها بين يديها كأنها تريد التخلص من جلادها. ثم نجحت بالقول:

ـ كل هذا لا يتعلق بي كلياً. لقد. . . لقد جئت الى اليونان لأعلن لدمسكينوس ان شقيقتي تريد فسخ الخطبة.

لكنه لم يكن يسمع. تقدم خطوة نحو الباب ثم قال:

ـ سأصعد الى السطح للتأكد من ان الزورق يسير بالاتجاه الصحيح. نحن وحيدان هنا ما عدا خادم صغير. . .

ـ لا يحق لك خطفي. سيعاقبك القانون.

ـ القانون؟ لا اعرف غير قانون واحد. . . هل سمعت . . . الثأر ما زال الشكل الوحيد والأكيد للعدالة. عندما فتحت لي الباب مساء امس ادركت انه من اللياقة ان اعيد لدمسكينوس عذراءه مبللة بالعار مهانة. . . فهمت في الحال ما الذي جذبه اليك. . . هذه الهالة من الحشمة والبراءة التي تلفك. انه يجمع الحجارة النادرة الخالية من اي خطأ، اليس كذلك؟

ـ أجهل ما يجمعه. كم من مرة علي ان اردد على مسمعك انني لست خطيبته. لو رأيت اختي تستدرك خطأك. انها شقراء، جميلة تسحر الالباب وتجذب العديد من الرجال.

اجابها بنظرة احتقار:

ـ هل تتصورين اننا نستلطف الفتيات اللواتي يعاشرن الرجال؟ دمسكينوس يوناني مثلي. سأجرح قلبه حتى الموت عندما اعيد له خطيبته بعد ان انال منها ما اريد.

قالت بصوت متقطع:

www.elromancia.com

ـ انت مجنون كلياً. دمسكينوس لا يعرف حتى من اكون!

ـ ومتى تكمد حجارته النادرة ويخف وهجها، لن يعود بحاجة اليها. ولن يكون لك معنى بنظره بعد ذلك. وسيتألم كبرياؤه اكثر مما لو خنقتك في الحال من دون عنف او تعذيب... آه، هذه البراءة، في عصر تحرير المرأة، امر لا يصدق، ام انك تمثلين علينا دوراً ستندمين عليه!

ـ انا لا امثل، وسترتكب جريمة اذا...

عضت على شفتيها. ما فائدة الكلام؟ فهي تعرف الآن الى اي درجة هو قادر ان يكون قاسياً وعديم الشفقة. انه يكره دمسكينوس ولا احد يستطيع تغيير رغبته الفادحة بالثأر منه. تغلفت بالعباءة السوداء المبطنة بالاحمر للتخلص من نظرته التي تعريها وقامت بجهد اخير لتقنعه بانه مخطىء:

ـ اسمعني، ارجوك. انت تريد ان تعاقب شخصاً بسبب موت خطيبتك، اليس كذلك؟ مهما فعلت بي، هذا لن يؤثر بدمسكينوس، لانني لا اعرفه ولا يعرفني. سأكون وحدي من سيتحمل هذا العذاب... وسيؤنبك ضميرك اذا نفذت جريمتك البغضاء.

نظر اليها باعجاب وقال:

ـ انت فتاة رائعة...

وبتأثير اشعة الشمس التي تدخل الآن من نوافذ الزورق الى داخل الحجرة، تلون شعرها المشعث بلمعان ذهبي، وبين رموشها الطويلة المبللة بالدموع كانت عيناها تلمعان مثل الزمرد الريحاني.

ـ اعتقد بانني سأتذوق اللذة في هذا الثأر. وسيكون ذلك تعويضاً على ما عانيته خلال السنوات الماضية. كنت احب تمارا حتى الجنون.

لكنك لا تستطيعين فهم الأمور... وماذا تعرفين عن الحب، يا آنسة شيلدون، انت التي كنت على استعداد ان تبيعي نفسك لهذه الشخصية الحقيرة؟

نعم، ماذا تعرف عن الحب؟ لم يسبق ان اعارها احد من الرجال اهتمامه. ما عدا هذا اليوناني الوقح الذي اعتبرها البيرتا وخطفها الى زورقه...

زورقه؟ لكن... امس... كان يعمل في فندق مترويوليس كخادم في المطعم!

سألته فجأة:

ـ من انت؟

قال ساخراً:

ـ الشيطان بذاته، حاضر لخدمتك. ادعى ستيفان كسندروس ولست خادماً في فندق مترويوليس، انما صاحب الفندق بنفسه واملك سلسلة من الفنادق. مثالي الأعلى انه لا يوجد كالعمل المتواصل لاشغال العقل والجسد. وبما انني فقدت امرأة حياتي وشريكة مستقبلي فانا اعيش حياة النساك. لكن هذه الحياة ستتغير عندما نصل الى جزيرة سوليتاريا... انها جزيرة موحشة، بعيدة عن كل شيء، ضائعة في البحر الايجي. وهناك سانتقم بك من الوحدة الرهيبة التي عشتها منذ وفاة تمارا. ستبقين معي حتى امل منك... سأمتلكك جسداً وروحاً. هل هذا واضح؟

نعم، انه وضوح اعمى. هذه الفتاة الساذجة التي لم تجذب اي رجل في حياتها من قبل، عليها ان تعيش الآن في جزيرة يونانية، في صحبة هذا القرصان الوحيد.

قالت له بحركة متوسلة:

www.elromancia.com

- ارجوك، دعني وشأني! هذا امر حقير ومهين!

- لكنه مثير للغاية!

اقترب من الاريكة حيث كانت متقلصة داخل العباءة السوداء مثل عصفور بردان فلاحظت حينئذ عينيه الجميلتين اللوزتين وملامحه الحادة، وبشرته الناعمة السمراء. راح يلمس كتفها بيده، ثم عانقها وقال:

- لن اعود عن قراري وعليك الاعتياد على هذه الفكرة. في الحال. ومن الأفضل لك الخضوع.

وبنعومة غير منتظرة راح يلامس شعرها ببطء ويقول:

- لم يسبق ان رأيت شعراً بهذه الطراوة. وما حلمت يوماً ببشرة ناعمة كالحليب. لا داعي للندم والأسف، فانت الآن على متن سفينتي... فات الأوان للشفقة... من زمان والحقد ينخرني... ومهما تخبطت واحتجيت، فأنت حقاً عذراء تمكن دمسكينوس من جذبها بواسطة امواله الطائلة. لا، انا لا الومك على تعلقك بالمال، الجميع بحاجة الى المال. لقد بنيت الفنادق من اجل ايواء السياح المبهورين ببلادنا وتاريخنا واساطيرنا وآثارنا وسمائنا الزرقاء وجبالنا العطرة...

اندهشت أليس ورفعت عينيها نحوه. لم يسبق ان سمعت رجلاً يتكلم عن بلاده بهذا الشغف المطلق الحسي.

اضاف يقول بلهجة تهديد:

- انت لي منذ اللحظة التي دخلت فيها الى شقتك مساء امس. كنت قد خرجت لتوك من الحمام، اليس كذلك؟... لقد تنشقت عطر جلدك عندما تعثرت قدماك وانقذتك من السقوط. آه، كان بامكاني اخضاعك في الحال لقد شعرت بذلك، اليس كذلك؟ لكن

سنشعر بالارتياح والالفة اكثر في سوليتاريا تقريباً وحيدان في جزيرة، لا تحتوي الا حفنة من الفلاحين تهتم عائلاتهم بالاعتناء بمنزلي وحديقتي. هناك يمكنني ان افوز بالثأر وارى في عينيك الزرقاوين رغبة لا مثيل لها.

كانت عيناه تشرئبان رغبة جامحة وشعرت أليس بالتوتر يملأ جسمها كله، وراح قلبها ينبض بقوة، كأنها تعيش كابوساً رهيباً. لا شيء سيمنع هذا الرجل من تحقيق مشروعه، لا الرجاء ولا الدموع. وجزيرة سوليتاريا تقترب حتماً.

وخلال لحظة قصيرة حاولت ان تتخيل الجزيرة الصغيرة الصخرية التي تلعب الريح فيها حيث ينتظرها ولا شك بيت ذو جدران بيضاء مطلية بالكلس، هذا البيت الذي بناه ليؤوي حبه مع تمارا.

اخيراً قالت:

- انت مخطىء تجاهي. انا ارتدي النظارات ويعتبرني الرجال غالباً كمنغصة للافراح...

توقفت عن الكلام لدى رؤية ستيفان كسندروس يقهقه من الضحك فقال بعد ان ابتعد عنها:

- بعد خمس دقائق ستقنعينني بأنك ترتدين الباروكة ووجبة اسنان وصدراً اصطناعياً!

- انا لا ارى جيداً من دون نظارات ولم تتعثر قدماي في الأمس بصورة ارادية، اذا كنت تلمح الى ذلك.

- لا، لقد لاحظت اندهاشك ولذلك حاولت منعك من السقوط.

ابتسم واضاف:

- من زمان لم اضم امرأة بين ذراعي. ونسيت كم ان ذلك رائع.

وفي الحال، لدى رؤيتك ارتسم قدرك امامي.

- ماذا تعني؟

- قررت حينذاك ان اخطفك. كنت افكر، في البداية، ان اطلب من دمسكينوس فدية ضخمة يدفعها لمنظمة خيرية. لكن عندما شعرت ببشرتك والعطر... يا جميلتي، عرفت ان الحظ يحالفني في ثأر بالغ الروعة.

- انت انسان مجنون وخطر ولست جاداً في الوصول الى اهدافك؟ هل تعتقد انني سأدعك تتصرف بي كما تشاء؟ مثل شيء... كي تهجرني مثل خرقة قديمة، بعد ان تحقق انتقامك؟

قال ساخراً:

- وكيف بامكانك منعي من تحقيق ذلك؟ انا اقوى منك بكثير ولا احد يصدني عندما اريد تحقيق امر ما. حرمني دمسكينوس من المرأة التي احببت وسأفعل الشيء نفسه بالنسبة اليه.

صرخت اليس قائلة:

- لكن دمسكينوس لا يحبني. وانا لست شيئاً بالنسبة اليه. لا شيء. اردد لك ذلك وارجو ان تصدقني.

- انت على حق. كيف بامكانه ان يحب امرأة لا تحب سوى المال؟ مهما كان الأمر لا شيء يمنعني من امتلاكك. وسيعرف دمسكينوس وسيختنق غضباً. وانا اكيد من انني سأتمتع كثيراً بالحصول عليك. احب ان اراك حساسة ومنفعلة... احب هذا العطش للمحبة الذي اراه في عينيك السريتين. احب...

انسحرت اليس بكلامه الجميل ولم تستطع ازاحة نظرها عن وجهه الوسيم الخالي من الرأفة. مضت ساعات منذ خطفها، ولا احد سينشغل باله عليها. سافرت البيرتا للالتحاق بحبيبها في

آخر العالم وها هي الآن تصغي الى خاطفها وهو يشرح لها بهدوء وبساطة انه يريد النيل منها.

- انت شخص حقير وقذر!...

هز رأسه وقال:

- عليك ان تعتبريني قديساً بالنسبة الى خطيبك. انا لست فاسداً مثل دمسكينوس. انا انسان طبيعي بكل ما في الكلمة من معنى.

- لانك تجد طبيعياً ان...

قاطعها قائلاً:

- هيا، لا تعتبريني مريضاً مهووساً من دون فائدة! سأتركك فترة. حقائبك موجودة تحت الاريكة. ارتدي ملابسك ووافيني على سطح الزورق. سأطلب من الطاهي ان يحضر البيض المقلي. هل انت جائعة؟

- كلا...

قال وهو يتوجه الى الباب:

- كاذبة! هيا، يا أليس، من الأفضل لك الاستسلام للأمر المحتوم. انا بانتظارك.

وما ان انغلق الباب وراءه حتى نهضت أليس مغلفة بعباءتها لترى من خلف النافذة، البحر الأزرق الهادىء. والمركب يمخر الماء كأنه يحفر هاوية بين الفتاة والعالم المتمدن.

فوقها، على سطح هذا الزورق، الضائع وسط البحر الايجي، شاب يوناني مهووس يجتر ثأراً رهيباً.

لكنها لن تجعله يهزأ منها. فستدافع عن نفسها حتى آخر نقطة من عنفوانها. في البداية ستبرهن له انها ليست امرأة فاتنة. عندما يراها

www.elromancia.com

ترتدي نظارتيها وترفع شعرها كعكة الى الوراء وترتدي الملابس المحتشمة سيفهم خاطفها جيداً خطأه الفادح.

٣ ـ ستيفان كسندر وس يكشف عن قسوته الكاملة ويمنع أليس من رفع شعرها كعكة كما فعلت طيلة حياتها. ثم يذهب به الجنون الى محاولات اخرى ابعد خطورة بكثير. . .

الريح تعصف في شراع المركب الذي يبحر كالسهم بين الأمواج. صعدت أليس الى السطح من دون احداث اي ضجة. وخلف الرافعة وقفت تنظر الى ستيفان كسندر وس وهو يقود المركب محدقاً بالماء والافق البعيد. وبيد حازمة ينطلق كأنما الى آخر العالم، الى جزيرة نائية حيث ينوي ان يفعل بها ما يشاء!

كان قد خلع سترته المصنوعة من جلد الخروف. ويرتدي سروالاً قديماً وقميصاً بيضاء تظهر عضلاته القوية وحيويته ونشاطه. النظر اليه يعذبها كثيراً. هذا الرجل الوحيد، اللامبالي، الذي يقوم بعمله في تمهل ومثابرة كما يفعل الزورق في الامواج الصاخبة. راحت تتأمل خاطفها بوضوح لأول مرة وهي تشعر بوميض غريب في صدرها.

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة

عندما كانت منذ قليل، تبحث في اغراضها، لم تجد نظارتيها. لا شك انها نسيتهما على الطاولة في حمام الفندق. ولحسن حظها وجدت بين امتعتها نظارات الشمس، فارتدتها كي تخفي عينيها الضائعتين. ارتدت تنورة غامقة وقميصاً ازرق فاتح اللون مبكلاً بالازرار حتى العنق. وبنظاراتها السوداء وكعكة شعرها المشدودة وغياب الزينة عن وجهها، عادت أليس شيلدون الى طبيعتها القديمة التي لا يلتفت الرجال اليها ابداً.

كانت تتمنى ان تهدىء من عزيمة خاطفها متى رآها على هذا الشكل. واخيراً قررت الاعلان عن وجودها فقالت:

ـ ها انا يا سيد كسندر وس. لقد ارتديت ملابسي وصعدت الى سطح الزورق كما طلبت مني.

نظر اليها بلامبالاة ثم انتفض لرؤية كعكة شعرها وقال:

ـ انزعي كعكتك الآن وبسرعة، واتركي شعرك ينسدل على كتفيك.

كانت مصممة ان تحافظ على هدوئها... لكنها قالت بصوت اكيد:

ـ تباً لك! شعري ملكي وانا اسرحه دائماً على هذا الشكل. افكه فقط عندما اذهب الى فراشي.

ـ لكن هذا تحريض واثارة... وانا احب شعرك منسدلاً بحرية على كتفيك في كل ساعة من الليل والنهار. هيا، انزعي الدبابيس بسرعة ودعي الريح تلاعب شعرك الجميل!

وضعت اليس يديها خلف ظهرها وقالت ببرود:

ـ هل للقائد اوامر اخرى يريدني ان انفذها؟ من الأفضل عليك ان تعرف حقيقتي ومن اكون حقاً.

من جديد راح يتأملها من رأسها حتى اخمص قدميها. لم يسبق لأليس ابداً ان رأت نظرات رجل، بهذا التوتر والاضطراب والقلق والسرية، كالبحر الذي يحيطها. ازاحت نظرها عنه وحدقت بالسلسلة الذهبية حيث تعلقت جوهرة من حجر الجاد وظهرت من تحت قميصه.

ـ اشبهي نفسك! هذا كل ما اطلبه منك! اسدلي شعرك الحريري.

ـ لست فتاة شيطانة واكره ان ارى شعري على وجهي.

سألها ساخراً:

ـ اذن، لماذا تريدينه طويلاً؟ هل تريدين، يا أليس ان اجيب عنك... انت تعرفين جيداً. ان لديك شعراً جذاباً ولا تجرؤين على اظهاره! انت فتاة معقدة!

ـ الا يكفيك ان تلعب دور الخاطف والمضيف والبحار؟ وتريد ان تلعب دور طبيب النفس ايضاً. شخصيتي لا تخص الا نفسي فقط.

ـ خطأ. منذ الآن انت تحت سلطتي، ويحق لي الرقابة عليك.

صرخت قائلة:

ـ انت عديم الوجدان! عندما تقبض الشرطة عليك...

ـ لا خطر علي يا اليس. خطفتك من فندق متروبوليس ليلاً واخذتك الى هذا الزورق، كما شطبت اسمك من السجلات. ولم يعد هناك اي اثر لمرورك بالفندق.

ـ لكن ... موظف الاستقبال... الذي تكلمت معه؟

ـ انه احد ابناء عمي. وهو لا يفشي بالأمر لأنه يريد وظيفته.

ـ و ... الطاهي؟ سيراني...

ـ طبعاً. انه ابن خالي. لا احد من افراد عائلتي قلق على ما

www.elromancia.com

سأفعله بخطية دمسكينوس هنا، الصدق لا يتزعزع، ونحن نعرف كيف نتكاتف مع بعضنا.

ـ انت انسان تافه. انت انسان فظ، متعجرف وحقير!

ـ كمعظم الرجال. انا موافق. منذ الطفولة ينهمر الجميع علينا بالمديح والقول باننا اقوياء وارفع منزلة من الجنس الضعيف... ونحن لا نفعل شيئاً لايقاف الغريزة، اما انت التي تتحلين بصفات تدفعك الى الخضوع للرجل والاستسلام له، الظاهر انك لست واعية لسحرك، يا أليس... ربما يجب ان تتعلمي استخدامه.

ـ وطبعاً ستكون انت المعلم المختص؟ اخشى ان اكون تلميذة خائبة، يا سيد كسندر وس.

ـ ليس ذلك اكيداً. وراء احتشام الآنسة شيلدون، باحذيتها الولادية وقميصها ذي القبة العالية والأكمام الطويلة، ارى انسانة مختلفة... فراشة جميلة ذات اجنحة ملونة لا تطلب الا الخروج من الظلمة... هل انا مخطىء؟ أليس، اعترفي بذلك، عندما كنت صغيرة، هل اشعرك احد بأنك انسانة عادية؟

ـ لست بحاجة ان يقال لي ذلك.

راح يضحك بفراسة وانطلاق جعلتها تضطرب بغرابة. ابداً، وحتى في احلامها الجنونية، لم تتخيل اليس انها ستعيش مغامرة مماثلة. لقد قال لها منذ قليل: «ماذا تعرفين عن الحب؟ انت التي كنت على استعداد لأن تبيعي نفسك لرجل ثري قذر؟».

نعم ماذا تعرف عن الحب؟ لم يكن يريد تصديق الحقيقة. ما العمل؟ هل تستمر في لعب دور انسان آخر؟ فهي تحت سلطته الا اذا قذفت بنفسها في الماء لتودي بحياتها.

ارتعشت وهي تشعر فجأة بيد ستيفان على شعرها. نزع الدبابيس

وانسدل الشعر البني الحريري شلالاً فوق كتفيها. ثم قال:

ـ انا على استعداد ان اسمح لك بألا تثقي بي، لكنني لن اقبل ان ترفضي لي هذه الرغبة في رؤية شعرك. ها هو الآن جذاباً حتى الاثارة.

ـ انت انسان مستحيل ومن الصعب تحملك.

نظر اليها بسخرية ورمى الدبابيس في الماء وقال:

ـ لا اريد ان ارى بعد الآن هذه الكعكة الرهيبة!

ـ اكره ان ينسدل شعري ويغطي وجهي...

ـ لقد سبق وقلت لي ذلك! حسناً، والآن، دعيني اتأمل قميصك... لونه رائع. لكن، هل افك بعض الأزرار العالية ام ستفعلين ذلك بنفسك؟

وضعت أليس يدها العصبية فوق عنقها وصرخت:

ـ لا. لن اسمح لنفسي ان اتحول الى امرأة سهلة، فقط من اجل ارضائك. لا يحق لك ان تطلب مني مثل هذا الأمر!

ابتسم ثم قال:

ـ ستفعلين ما اطلبه منك بالتمام والكمال. حان لك الوقت ان ترمي جانباً هذه المبادىء البالية التي تخنقك، وتدعي الريح تلاعب شعرك والشمس تلامس جلدك. في حياتي كلها لم ار مثل هذه البشرة الجميلة. الم تسمعي هذا الكلام من قبل؟

احمرت أليس. نعم تعرف جيداً انها تتمتع ببشرة ناعمة... لكنها رفضت اظهارها للآخرين... لكن ماذا عليها فعله لئلا تدعه يفك الازرار العالية بنفسه... وبعصبية فكت ازرار قبتها ونظرت اليه، فأسرع يقول:

ـ وزر آخر بعد!

www.elromancia.com

فكته وقالت:

ـ تباً لك!

شعرت ان خاطفها يداعب عنقها بنظرته الحالمة، فخطت خطوة نحو طرف الزورق فقال لها:

ـ الماء تحتك على السباحة، اليس كذلك؟ لكن احذرك. فالماء هنا مليئة بالتماسيح.

ـ تقول لي هذا الكلام فقط لترعبني.

ـ حاولي اذا اردت...

ارتعشت وقالت:

ـ انت عديم الرحمة.

ـ ما بالك، يا أليس، هيا. كفي عن التخبط ضد التيار الذي يجرفك! يجب ان تعتادي على فكرة ان تصبحي لي. انت لا تستطيعين مقاومة القدر، تماماً كما لا تستطيعين مقاومة الريح والأمواج العاصفة. انا اريد الانتقام، وسأناله.

ـ من دون اعتبار عواطفي؟

ـ سأبذل جهدي لئلا اتصرف مثل رجال الكهوف...

ـ هل تتصور انني سأخضع لك مثل... عانس متعطشة للحب!

ـ في كل الأحوال، ستستسلمين لي، يا أليس، وهذا امر ضروري... آه، هذا ميكي، الطاهي، حامل فطور الصباح...

ابتسم لها الطاهي ببساطة كأن وجودها امر طبيعي فسأله ستيفان بالانكليزية:

ـ اجلب هذا الصندوق لتجلس عليه الآنسة شيلدون.

ثم قال لأليس:

ـ ميكي يتكلم الانكليزية واليونانية. عاش والده عدة سنوات في الولايات المتحدة الأميركية حيث تزوج وانجب. لكنه عاد الى اليونان، كما يحصل مع الجميع...

جلست اليس. فوضع ميكي امامها صحناً مليئاً بالبيض المقلي والخبز المحمص والزبدة والمربى. ثم سكب لها فنجان قهوة.

قال ستيفان:

ـ خذ عني قيادة الزورق يا ميكي، بينما اتناول فطوري.

ـ نعم، كابتن.

نظر ستيفان الى اليس بشغف لا يصدق... كيف بامكان هذه الفتاة الباهتة ان توقظ في هذا الرجل اليوناني هذه الرغبة المثيرة؟ انه يريدها بوضوح ومن دون تعقيد... لا شك انه كان فعلاً مغرماً بتمارا لأنه ابتعد عن جميع النساء بعد وفاتها... اخفضت عينيها خوفاً من ان يكتشف انجذابها اليه. وراحت تفكر بوضعها الغامض. يخطفها ستيفان الى جزيرة نائية، فتنجذب بكتفيه العريضتين وورکيه الضيقتين ورأسه الكبريائي المتوج بالشعر الأسود الكثيف. يا لغرابة هذا الوضع!

سألها فجأة:

ـ بماذا تفكرين؟

قالت بعد ان احمرت وجنتاها بقوة:

ـ افكاري تخصني، اليس كذلك؟

ـ تحيرينني، يا أليس. هل تتجاهلين مكر النساء؟ كأنك عشت في صومعة حتى الآن. كيف نجحت في التسلط على دمسكينوس...؟ آه، سيجن عندما يعرف باختفائك، اليس كذلك؟

ـ سيحاول نجدتي.

www.elromancia.com

ضحك ستيفان بشكل تهديدي وقال:

- هل تتصورين انه سيرسل اشخاصاً للتفتيش عنا؟ انت مليئة بالأوهام... سترسي سفينتنا في سوليتاريا قبل آخر النهار. وقبل ان تصل فرقة النجدة يكون قد قضي الأمر...

انتفضت وسألته:

- ماذا تعني؟

- ما بالك، يا ابنتي العزيزة، لا تجبريني على توضيح النقاط!

بضربة جافة قطع البطيخة التي بين يديه الى جزئين وقدم لها قطعة بابتسامة ساخرة فقالت له:

- هل... هذا تهديد، اليس كذلك؟

- هيا، كلي بطيختك، الحلوة كالعسل انه العالم بالمقلوب، اليس كذلك؟ على متن السفينة الرجل هو الذي يقدم للمرأة ثمرة التجربة.

- آه، ما زلت تتذكر الحوادث التي جرت في الفردوس... فما عليك الا ان تتذكر التتمة. جزيرة اليوم هي ربما مرفأ سلام. ماذا سيحل بها عندما تكون قد مارست انتقامك؟ لن تمس سوى بطعم الرماد في الفم!

- انت متواضعة جداً، يا عزيزتي أليس! كيف بامكانك ان تفكري بأن هذا الثأر لن يجلب لي الفرح الكبير؟

وراء النظارات الغامقة كانت أليس تتأمل باندهاش وجه الرجل الكبريائي الواثق من نفسه.

اضاف يقول بعد لحظة:

- الا ترغبين في معرفة المزيد عن سوليتاريا؟ هناك ستعيشين.

- الا تخشى، يا سيد كسندروس، ان يكون وجودي على

الجزيرة حافزاً سيدفعك الى الافشاء بالسر؟ او انك تنوي القول بانني جزء من عائلتك؟

- الجميع يعرف بانني اعيش من دون امرأة منذ زمن بعيد. وهنا في جزيرتي، الناس متفتحون ويتمتعون بافكار واسعة...

اشعل سيكاراً صغيراً واضاف:

- ما افعله، لا دخل لأي انسان آخر به.

- كنت اتصور ان لي انا علاقة في الامر. لكن تبين انني لست بشيء! لكن لدي كرامتي وعزة نفسي، و.... ولا اريد ان يعتبرني الآخرون... غانية...

- كلمتك الاخيرة قديمة الاستعمال وبالية، يا عزيزتي!

ثم اضاف بعدما اخذ مجة من سيكاره:

- بالية... مثلك، يا طاهرة! بدأت افهم لماذا جذبك دمسكينوس... كنت تعرفين بانه لا يمكنه ان يطلب منك كل شيء. فكان بامكانك الاستفادة من ثروته من دون ان تدفعي شيئاً من ذاتك.

- هل... هل تفكر جدياً هكذا بي؟

- هذا امر حتمي.

- لنقل ان هذا رأيك. لكنني اردد لك، منذ ان صحوت من دوختي، بأني لست الانسانة التي تبحث عنها، غير انك لا تريد ان تسمعني. فكر لحظة. انك تعتبرني من الطراز القديم...، نعم، كلامك صحيح وينطبق في عدة وجوه. هل تتصور ان رجلاً مثل ايونيدس دمسكينوس يفكر لحظة واحدة في الزواج مني، انا؟

نهضت وتابعت بحدة:

- نعم، يا سيد كسندريوس، انا فتاة خجولة ومعقدة وضد

www.elromancia.com

المغامرات العابرة وحبوب منع الحمل والاجهاض، اعيش حياة هادئة في شقتي اللندنية واكسب معيشتي بالعمل كرسامة في المجلات النسائية. ليس عندي اي نجاح. ينقصني ذلك الشيء الذي يجذب الرجال. ومن زمان وانا مضطرة للعيش وحيدة... واذا احببت يوماً رجلاً فليس لأنه يملك ثروة او لانه ... معاق! وانا لست باردة كما تظن!

نظر اليها ستيفان كسندروس فترة طويلة بصمت، ثم هز رأسه ببطء واندهاش وقال اخيراً:

- انت تدهشينني حقاً. كان عليك ان تصبحي ممثلة. هل تعرفين انني بدأت اشعر برغبة ماسة لاكتشاف أليس شيلدون الحقيقية؟

- الا تصدقني؟

- يا ابنتي العزيزة، لقد استعلمت عن خطيبة دمسكينوس، وقيل لي انها فتاة انكليزية نحيلة، في العشرين من عمرها، ذات شعر طويل رائع... وتدعى أليس شيلدون.

- كلا، تدعى البيرتا شيلدون.

- بل قيل لي انها أليس شيلدون. لقد تفحصت جواز سفرك خلال نومك، وتأكدت من انك أليس شيلدون ذاتها، ومولودة في ميديلسكس وعمرك ٢٤ سنة. اذن...

توقف عن الكلام وراح يتأملها بشغف واضاف:

- كثير من النساء يبعن كل ما لديهن ليملكن بشرة مثل بشرتك. والعديد من الرجال يفعلون الشيء نفسه لكي ينالوا الحق في لمسها ومداعبتها.

وبحركة جافة رمى سيكاره في الماء وامرها قائلاً:

- تعالي الى هنا.

- اذهب عني، من فضلك.

بريق تهديد ارتسم على وجهه وقال:

- افعلي ما يقال لك... والا... بامكاني ان اكون قاسياً! هيا، قرري، حان الوقت!

اراك متقلصة مثل هرة غاضبة مستعدة للهجوم وانشاب مخالبها!

لماذا زعمت البيرتا انها تدعى اليس؟ هذا ما تساءلته الفتاة المسكينة. وتذكرت اليس، انها رأت مرة اختها الصغيرة تسأل والدها قائلة: «بشعري الاشقر وعيني الزرقاوين، كان عليك ان تسميني انا أليس بدلاً من البيرتا». يومها ضحك والدهما ثم التفت الى أليس بمحبة قلقة كأنه يشك بأنها ستكتشف يوماً بلاد العجائب.

فجأة شعرت أليس بذراعي الرجل تلتفان حولها بقوة، فجن جنونها ورفعت عينيها الى وجهه القاسي. وبينما الدنيا تدور بها سمعته يقول:

- اذن، هذه هي خطتك؟ لا تريدين ان تهبي شيئاً؟ وانا سآخذ ما اريد.

- هل تتصور انني سأرتمي في احضانك؟...

راحت تتخبط بائسة لكنه ظل يشدها في ذراعيه بقوة الحديد فارتجفت وهمست بصوت قلق:

- آه لا... ليس هنا. الطاهي بامكانه ان يرانا...

- تفضلين الاختباء؟

جذبها بقوة وراء تلة الصناديق، كادت ان تفقد عقلها. كلما تخبطت اكثر، كلما اصبح اكثر حماساً لكنه فجأة حملها بين ذراعيه وادخلها الى الحجرة ووضعها على الاريكة واقفل الباب بالمفتاح. فصرخت بصوت مخنوق:

ـ لا. لا ارجوك...

خلع نظارتيه فاطلقت صرخة رعب وتخبطت بقوة، ترجوه ان يتركها وشأنها. كان قلبها ينبض بقوة جنونية واحتلها الضعف وفقدت الوعي وارتمت على الوسائد، بيضاء كالأموات... كدمية من رقع.

ولما رفعت عينيها كان جالساً قربها يبلل وجهها بالماء الفاتر. ادرك انها عادت الى صوابها فقال:

ـ هل افزعتك؟ هل تشعرين بتحسن؟

ـ لقد... نعم.

رفعت يدها الى جبينها المبلل ونظرت اليه برعب وقالت:

ـ هذه اول مرة في حياتي اشعر بالغثيان ويغمى علي.

ـ كنت اتصور ان هذه الأمور تحصل فقط في قصص العهد الماضي! انت انسانة غريبة، يا أليس!

ـ انها غلطتك. لقد خدرتني وخطفتني وجئت بي الى زورقك بهدف ممارسة العنف معي. وتريدني فوق كل ذلك ان ارتمي بين ذراعيك؟

ابتسم وقال:

ـ احتسي هذا المشروب، لتستعيدي نشاطك ولونك.

قالت له بنظرة متوسلة:

ـ انت... انت تعرف جيداً ما اريد. اريد ان تعيدني الى اثينا.

ـ نحن الآن في منتصف الطريق ولا انوي العودة فقط لارضائك. اعرف الآن، انه لا يجب علي ان اكون عنيفاً معك، يا أليس. سآخذ الوقت المطلوب. آه، انت لا تشبهين الانكليزيات! انت لست امرأة متحررة!

ـ انت رجل عديم الشفقة ومنفر.

قال لها وهو يضع يده على كتفها:

ـ وانت، انت فتاة حنونة مثل الندى. انك شديدة الحساسية. وانا اكيد بأني خدمتك في ان خلصتك من مخالب دمسكينوس. ولأنك ساذجة، لا تعرفين ما كان ينتظرك؟

ـ تريد الآن ان تبرهن لي انك قديس ومهذب! لا شك انك مثل دمسكينوس. تتمتع بموهبة استغلال الناس ولا تفكر الا بلذتك، مهما كان العذاب الذي تفعله بالغير.

بريق خافت عبر عيني الرجل اليوناني، فتقلص وقال:

ـ انتبهي، لا اطيق مقارنتي بمجرم.

هزت كتفيها وقالت:

ـ انت ايضاً تقوم بعمل جيد، يا سيد كسندروس!

ـ ارجوك ان تعتادي على مناداتي بستيفان. نحن في طريقنا الى سوليتاريا. بامكانك ان تصرخي وان يغمى عليك وان تمزقي الوسائد، هذا لا فائدة منه. لا شيء سيرغمني على العودة. استرخي وكفي عن شتمي.

ـ ان اشتمك هو الشيء الوحيد الذي احب في هذه الرحلة!

ـ اذن، اترك لك الحرية ان تشتميني، لكن وحدك!

نهض فجأة وقال لها:

ـ نامي الآن.

ـ تباً لك، يا سيد كسندريوس. سأجد طريقة للتخلص من مخالبك.

ـ في هذه الحال اتمنى لك احلاماً جميلة، لكن اخشى الا تستطيعي تحقيقها!

www.elromancia.com

توجه الى الباب فقذفت عليه كأس الشراب الذي تحطم ارضاً من دون اصابته.

فسألها بضحكة ماكرة:

ـ هل تشعرين الآن بتحسن؟

ـ كثيراً، شكراً.

وما ان انغلق الباب حتى تقوقعت أليس على الأريكة تاركة نفسها تتأرجح مع حركة الأمواج. لقد حلمت بالحب بين ذراعي رجل محب وحنون... لماذا رماها القدر في طريق هذا اليوناني القاسي الذي قرر ان يشفي غليل انتقامه بواسطتها؟ وكل هذا بسبب شقيقتها البيرتا المجنونة التي تكذب من دون ان تفكر بالعواقب.

واهتز كيانها وهي تتذكر عناقه. وادركت انه في المرة المقبلة، لا شيء سيوقفه عند حده، لا صراخها، ولا بكاؤها ولا توسلاتها... كانت ضائعة حتى العدم.

٤ ـ مع الوصول الى جزيرة سوليتاريا ازداد الموقف حرجاً ولم يعد امام أليس سوى ان تطلب الرحمة عنوة وبلا خجل. اتفقت مع ستيفان على ارسال برقية الى اختها في سيلان لتأكيد هويتها... واعلنا الهدنة مدة اسبوع!

اسندت أليس ظهرها الى حاجز السفينة، شاحبة اللون تنظر الى الزورق يدخل وسط صخور البحر المنثورة حول شاطىء جزيرة سوليتاريا، والريح تلعب بشعرها والغسق يشارف على نهايته. وفي الافق، سحابات طويلة من اللهب تخطط السماء الليلكية.

هذه الصخور الغامقة المنبعثة من اعماق ايجيه تجعل الجزيرة شبه قلعة. والصخور الساحلية المحززة عميقاً والمتأججة بنيران شمس المغيب، تنحدر عامودياً فوق الرمال الضيقة. اشار ستيفان باصبعه الى منزله الذي اطلق عليه اسم «الفانوس»، هذا المنزل المهجور الذي يطل على البحر من فوق قمم الصخور، وقال:

ـ ها هي قلعتي!

www.elromancia.com

كان في صوته فخر واعتزاز لانه مالك هذه الجزيرة وهذا المنزل. . . وهذه الضحية الهشة. . . كان الزورق يبحر ملتوياً ضد الريح بمهارة كبيرة، ويخترق الصخور. اخيراً دخل المرفأ، فنشل ستيفان المرساة محدثاً قرقعة عنيفة. وبالرغم من كل الظروف، كانت أليس تشعر بنوع من النشوة وهي تصل الى هذه الجزيرة الغريبة.

نزلت من السفينة الى زورق صغير وبعد عشرين دقيقة كانت تدوس الرمل الابيض على الشاطىء الصغير المحدد بالصخور الحمراء الشاهقة. وفوق رأسها كانت السماء متوهجة.

كانت نظاراتاها موضوعتان في جيب سترتها، لأنهما اصبحتا غير صالحتين للاستعمال من شدة الوسخ والرطوبة. ومن دون هذه العدسات لا تستطيع أليس ان ترى جيداً. كل شيء امامها تراه بمثابة ضباب يريح نظرها، هدأت عدائيتها تدريجاً. نظر اليها ستيفان بتحد وكبرياء وقال:

ـ اذن؟ الا تشعرين بأن «الميرا» تنتظرنا؟

قالت بصوت مضغوط:

ـ لا افهم معنى هذه الكلمة.

بذلت جهداً كبيراً لئلا تفقد برودة اعصابها وخاصة كلما اشتبكت نظراتها بنظراته. فأجاب قائلاً:

ـ «ميرا» يعني القدر. ما كتب قد كتب. والا ستحدث مشاجرة. . .

قالت بلهجة احتقار:

ـ يا لهذا العذر الجميل! تخطفني مثل لص عات، ثم تسمي ذلك القدر.

ـ في ظروف اخرى، يدفع السائح اموالاً طائلة ليقوم برحلة على

متن سفينة كالتي املكها. انا اعاملك باعتبار ومراعاة، حتى ولو اني افكر بالطريقة التي غرقت فيها تمارا في حوض السباحة!

قامت أليس بحركة غاضبة وقالت:

ـ آه، ارجوك، كف عن تحميلي مسؤولية موت هذه الفتاة المسكينة!

اوقف حركتها واطبق يده على معصمها، ثم رفع يدها وراح يتأملها بسحر ويقول:

ـ يداك جميلتان، يا عزيزتي، بيضاوان وناعمتان. ولا شك انهما تعرفان المداعبة الساحرة. آه، هناك امور عديدة المفروض ان تتعلميها، يا عزيزتي. . . في المرة المقبلة، عندما سأضمك بين ذراعي، آمل الا تمزقني اظافرك كما حصل في السابق.

ـ آه، هل شعرت بالألم؟ كم انا شديدة الفرح لذلك!

قال بضحكة ساخرة:

ـ كنت تتخبطين مثل هرة شرسة لذلك تستحقين العقاب المناسب.

ـ لكنك رجل مهذب، اليس كذلك؟

ازاحت عينيها عنه ونظرت الى الصخور العالية وقالت:

ـ لا تقل لي ان علينا تسلق هذه الصخور للوصول الى قلعتك؟

ـ كلا. اتبعيني.

امسك حقائبها وتقدمها ماشياً على الرمل الضيق الذي يتأجج بدوره تحت اشعة شمس المغيب القوية.

امامها، لمحت أليس فجأة حجرة مصعد محفورة داخل الصخرة. دخلا اليها. انها ضيقة ومبنية من الحديد السميك. انغلق الباب وصعدا ببطء. لكن الخوف احتل أليس، فكانت ترتعش بقوة

www.alromancia.com

لوجودها داخل الصخور الضيقة.

قال ستيفان للحال:

ـ من النادر ان يتعطل المصعد. «الفانوس» كان في الماضي ديراً قديماً ولم يكن الرهبان يخافون من التنقل من صخرة الى اخرى. لكنني فضلت الرخاء وبنيت هذا المصعد. هل تعانين من خوف الاحتجاز؟ اعني هل تخافين من الاماكن المقفلة، يا أليسيا؟

ـ لا احب المصاعد كثيراً... ثم افضل ان تدعوني أليس، كما من قبل. فأنا لست يونانية ولا انوي الزحف امامك.

ـ صحيح؟ لكنني تصورت بأنك فهمت ان عليك الاستجابة لرغباتي، طوعاً او كرهاً...

قالت ببرود.

ـ آه نعم! انت لا تعرف الا العنف! لكنك لن تتحمل طويلاً عدائية وحقد وكراهية فتاة سجينة. المستبدون مثلك، بحاجة دائمة الى الحنان كأي انسان آخر. وهذا امر لا يمكنك ان تجبرني على اعطائك اياه.

نظر اليها بسخرية وقال:

ـ اذا كنت تعتقدين بأنني اتوقع حنانك ومحبتك، فأنت مخطئة تماماً. لم يكن في نيتي سوى شيء واحد عندما جئت بك الى هنا. هل هذا واضح؟

ـ نعم. لكنني لا اريدك ان تنخدع نسبة الى مشاعري.

ضحك بسخرية وقال:

ـ انت لا تهوينني في قلبك، بالطبع! كل مشاريع مستقبلك فشلت بسببي! آه، كنت تحلمين بحياة ناعمة، قرب نصف رجل، غير قادر ان يطالب بحقه، أليس كذلك؟

قالت أليس وصوتها يرتجف احتقاراً:

ـ هل تنوي، انت، المطالبة بحقك؟ لكنك لست سوى شخص رديء يستحق ان يشنق. وطبعاً لن تحمل حقك معك الى الجنة!

ـ لكن لا احد سيصدق ابداً، بأن الملاك المحترم، صاحب سلسلة الفنادق الكبيرة، قد خدرك ثم خطفك الى زورقه! لست الأجنبية الوحيدة التي تأتي الى اليونان بحثاً عن رجل ثري! هل تريدين تعويضاً لذلك! رجال القانون سيضحكون عليك ويسخرون منك! وسترفض دعوتك رفضاً اكيداً امام المحكمة!

قالت أليس باشمئزاز:

ـ انت شيطان كبير. انا لست هذا النوع من النساء، وانت تعرف ذلك تماماً!

ـ كيف اعرف ذلك! مساء امس، في شقة الفندق اظهرت لي بأنك فتاة محتالة، ومغرية تعرف كيف تقع بين ذراعي. نيتك كانت واضحة...

ـ تعثرت قدماي بالبساط. الم تر ذلك بعينيك؟

ـ ما رأيته يختلف كلياً عما سأبوح به امام المحكمة. هل هذا واضح؟

ـ انت رجل كريه وعفن! سترميني في الوحل وانا سأكون الضحية!... الا تخشى انتقام دمسكينوس؟

ـ هل تعتقدين ان دمسكينوس يتحلى بروح الفروسية؟ عندما سيعرف بانك وقعت بين يدي، سيتعذب كثيراً، لكنه سيتخلى عنك بسرعة. يا صغيرتي لا تتوهمي كثيراً. انا سأعوض عليك تلك الخسارة.

ـ تعوض علي؟ ماذا تقصد؟

www.elromancia.com

قال بحركة راقية:

ـ المال، يا عزيزتي، اليس هو المال الذي جذبك نحو دمسكينوس؟

ـ انا لم . . . لم احضر الى اليونان من اجل ذلك.

قال بقوة:

ـ لا داعي للمكابرة فيما هو بديهي. القدر يسير ولا شيء يمنعني من ان ابلغ ثاري.

توقف المصعد وفتح ستيفان الباب الحديدي ودعى أليس للخروج. دخلا ساحة صغيرة وامامهما باب سميك.

فجأة شعرت أليس بالخوف يحتلها فرجعت الى الوراء كأنها تريد التخلص من هذا الرجل ومن السجن الذي سينغلق عليها. فاصطدمت بخاطفها، بينما كان يبحث عن المفتاح في جيوبه.

قالت وهي تضع نظارتيها:

ـ انا . . . المعذرة، نظري شحيح جداً مثل الخلد.

ـ لماذا تعتذرين لمثل هذا الأمر؟ هذه النظارات تعطيك لمحة حنونة.

ـ بهذه العدسات، اعتدت ان ارى الرجال ينظرون الي وكأنني خالية من اي انجذاب وسحر.

ضحك بسخرية وقال:

ـ لم افعل شيئاً حتى الآن كي تأخذين هذه الفكرة عني. في بلادي، يا اليسيا الصغيرة، يتصرف المرء بدهاء اكبر! . . . آه، اين وضعت مفتاحي؟

احمرت أليس بعنف. وتذكرت المشهد عندما عانقها. لو لم يعتقد بأنها خطيبة دمسكينوس، هل كانت التقت به؟

قالت بصوت عصبي:

ـ آمل ان يكون المفتاح قد سقط في الماء. انا لا ارغب في الدخول الى منزلك.

ـ لكن، عليك الرضوخ للأمر الواقع، برضاك او بالقوة. . . آه، ها هو المفتاح. هيا، اتخذي قراراً! هل تدخلين امامي؟ ام ترغمينني على حملك؟

ـ هل انت متوحش، منذ صغرك؟

ـ لنقل انني كنت. . . اكثر لطفاً في صغري.

انفتح الباب السميك محدثاً صوتاً مزعجاً وكاشفاً عن ساحة واسعة مربعة، محاطة برواق من الأعمدة. شمس المغيب تسطع على نوافذ الطابق العالي، التي كانت تبدو مرصوفة بالألوان. معظم الجدران الخارجية تختفي وراء العرائش السميكة. قبب الرواق مصنوعة من الحديد المزركش حيث تتعلق النباتات المتسلقة، هبت نسمة عابرة فصعدت في الجو رائحة غريبة.

قال لها ستيفان وهو يدل على نبتة مزهرة.

ـ «فلفل الرهبان» انها شجرة العفة. ولها مفعول تنويمي معين، اي انها تفقد الرغبة الحيوانية.

قالت من دون تفكير:

ـ في هذه الحال، عليك ان تجلس الآن بين اغصانها.

ـ من الأفضل ان اهرب من هنا! آه، آه، تخجلين؟

لمس خدها فرجعت الى الوراء. فضحك من جديد وقال:

ـ تصورت ان الاحمرار لم يعد معروفاً في بلادك.

فغضبت واحمرت اكثر وقالت:

ـ لقد سبق وقلت لك بأن الرجال عادة لا يتغزلن بالفتيات اللواتي

www.elromancia.com

يرتدين النظارات مثلي.

- صحيح؟ لقد سمعت عمي يقول مرة بان البحارة البريطانيين الذين اتوا الى هنا خلال الحرب العالمية الثانية كانوا يطاردون اي امرأة تمر في طريقهم.

- دائماً تتكلم عن عمومك واولاد عمومك. اليس لديك أب وام؟

هز رأسه وقال:

- توفيت امي يوم ولادتي وكان والدي صياد سمك. وعندما بلغت التاسعة من العمر، غرق زورقه خلال عاصفة بحرية ومات. وكنت محظوظاً، اذ كان لي عم وعمة حضناني من يومها فتربيت على يديهما بمحبة وكرامة.

- هل يعيش احد من اقاربك معك في المنزل؟

انتظرت رده بقلق، فالوضع صعب اذا كان جوابه ايجابياً، واذا كان عليها ان تعيش وسط عائلة!

شعرت بالارتياح عندما اجابها قائلاً:

- اعيش وحدي هنا. وابناء عمي يملكون مزارع صغيرة في الجوار.

- هل سألتقي بهم؟

- هذا امر حتمي، على ما اعتقد.

الظاهر انه يسخر من الاقاويل والاشاعات.

- هل تخافين حقاً ما سيقولونه عنا؟

خلعت نظارتيها بعصبية ونظرت اليه بتوسل وقالت:

- لا شك انك تعتقد بأن الفتاة الانكليزية لا تبالي بصيتها!

- لا تخافي. فسكان الجزيرة سيعتادون على وجودك بسرعة.

امسك بكتفها بقوة وقال:

- لا تحاولي ان تثيري بي الشفقة. فانا لا اشعر بالرأفة تجاه خطيبة دمسكينوس. اقتنعي بانك امرأتي في الوقت الحاضر. من زمان وانا اعيش وحدي وسأفرح برفقتك صحيح، ان هذا المنزل كان ديراً قديماً، لكنني لا اتمتع بروح القداسة!

تخبطت للمسته وقالت:

- لا سبب في ان تلح علي، فهمت نواياك.

- انا لست الرجل الوحيد الذي يترك لغرائزه حرية الانطلاق. اعترفي بذلك بصدق. اليس هذا امر رائع؟

جذبها اليه وشعرت بانفاسه فوق خدها وقال:

- حتى لو كنت مخطئاً بالحفاظ عليك هنا، يا أليسيا، سوف افعل بك ما اريده. من زمان وانا محروم من لمس امرأة. اريدك، هل تسمعيمن ؟ اريدك كلك لي. اريد ان افرح باستمالتك يا ايتها الخجولة. وقبل ان ارميك جانباً، سأعلمك الكثير عن الحب. سأجعلك تصرخين عالياً...

شعرت أليس بالارتخاء يحتل اعضاءها. كانت بين يديه مثل عصفور بلا دفاع. وفجأة تقلصت لئلا تدعه يشعر بقوة انفعالها، فهمس يقول:

- قفي عن التمثيل وتحملي البلاء. لو كنت انوي ان اتصرف معك بلطف، لما جئت بك الى هنا. لا تتصرفي كالطفلة. وضعي في عقلك بأنني لم اقطف التفاحة من اجل النظر اليها!

قالت ببرود لطيف:

- انا لم اتصورك ابداً رجلاً، وارجوك ان تكون اكيداً من ذلك. كما لم اعتبر نفسي ابداً مثل... تفاحة...

- انت متواضعة جداً. سأعلمك ما قيمة سحرك.

www.elromancia.com

ـ ان تفعل بي ما تشاء، اليس كذلك؟

ـ انت تفاحة، وقدرك منذ الابد ان تشفي غليلي. . . نعم، يا أليس الصغيرة، سيكون رائعاً ان اعلمك الحب. . .

ـ الحب! كأنك تستطيع معرفة، ما هو الحب!

ـ لقد عرفت الحب، يا أليسيا! لكن في الماضي البعيد. . .

حمل الحقائب ودخل الى المنزل وتبعته الفتاة، مضطربة الى درجة رهيبة. ماذا حل بأليس الخجولة؟

دخلا غرفة عالية السقف، ذات جدران غامقة. الاثاث المنحوت والمقاعد المغلفة بجلد الحيوانات كانت منثورة على الأرض المبلطة.

فقال ستيفان:

ـ هذا جلد الذئاب. ما زالت الذئاب تتشرد في جبالنا، بحثاً عن فريسة تقع بين اسنانها.

ارتعشت لهذا العالم الغريب، غير المنتظر، الذي ستواجهه رغماً عنها. داخل المدفأة الحطب يشتعل ورائحة اللهب غريبة. اقتربت من المدفأة ومدت يديها فوق حرارة اللهب. فسألها:

ـ كيف تجدين داري؟

وضعت أليس نظارتيها وراحت تتأمل الآنية الفخارية المطلية المنثورة على اثاث يلمع ببطء في الظل. على البلاط بساط رائع من الصوف السميك. وعلى احدى الجدران، بين نافذتين تعلقت ايقونة بيزنطية محفورة بالحجارة النادرة.

اخيراً اجابت:

ـ الا يفكر المرء هنا، انه في دير.

ـ هذا ما قصدته. لم اغير شيئاً في ملامح القلعة من الخارج. لكنني فضلت جعل الغرف اقل تقشفاً مما كانت عليه. وهكذا، حولت

بعض غرف الطابق الأول الى حمامات.

نظرت أليس بامعان الى المدفأة وقالت:

ـ انه منزل شاسع لرجل يعيش وحيداً.

ـ بالفعل. لكن الانسان الذي يتوصل الى كسب المال، يكون حلمه الوحيد ان يملك بيتاً له.

قالت من دون ان تنظر اليه.

ـ طبعاً، وجزيرة حيث بامكانه ان يفرض سلطته على كل شيء. . . .

قال بسخرية غير واضحة:

ـ هذا ينطبق علي، وانا لا انكر ذلك.

اقترب منها واسند ظهره الى المدفأة. كان قد خلع سترته الجلدية ومن فتحة قميصه رأت أليس عقد الجاد يلمع على صدره الاسمر. وتذكرت في الحال العراك العنيف الذي حدث في الزورق وخلاله شعرت بهذه الجوهرة تؤلم صدرها. رفعت نظرها الى ستيفان فرأته يراقبها بنظرة غريبة كأنه يتذكر هو ايضاً هذه الحادثة. فعاد يقول بعد لحظة:

ـ الجزيرة والمنزل ربما سيضللانك في البداية، لكنك سرعان ما تعتادين عليهما، وبما انك تتحلين بموهبة الرسم، فانا اكيد بأنك ستجدين هنا ما تودين رسمه.

قالت بسخرية:

ـ هذا معقول! هل ستسمح لي هذا النوع من التسلية؟ تصورت ان علي اطاعتك حرفياً طيلة النهار.

ـ لا، لا، لن اصر على رؤيتك بصورة مستمرة الا في الليل.

احمر وجهها والتهب حلقها. وبحركة غريزية خبأت وجهها

www.elromancia.com

المشتعل بين يديها المرتجفتين. فقال لها بجفاف:

- لا تتصنعي الخجل اكثر مما انت حقيقة. حان لك ان تصبحي امرأة بكل ما في الكلمة من معنى، وبكل ما في ذلك من لذة وسعادة. لم تستائي، مساء امس، عندما دخلت الى غرفتك، وكم كان رائعاً ان اضمك بين ذراعي، انت العطرة الناعمة! ربما كنت تفضلين الا ابالي لوجودك والا اجدك جذابة، اليس كذلك؟ دعك من هذه التفاهات! آه، ارغب في ان ابرهن لك عن حبي الآن في الحال، لكنني اخاف من حضور الخادمة في اي لحظة.

اجابته أليس بصوت مخنوق:

- انت رجل وقح!

هز كتفيه واجاب:

- من دون شك. لو كنت حقاً امرأة حقيقية ولست عانساً معقدة لفرحت بجنون لمجرد اثارة رجل مثلي. آه سأعرف كيف اجعلك تتقاسمين هذا الاحساس الرائع!

شعرت برغبة ملحة لطمر نفسها تحت الأرض والاختفاء كلياً. ثم قالت بصوت اتهامي:

- هل تسخر مني؟ انت انسان سادي.

- لا يحق لك ان تتهميني بالسادية!

- الحقيقة تجرح!

تقدم منها خطوة غاضباً وقال:

- لا يحق لك ان تعتبريني مثل دمسكينوس، هل تفهمين؟ انا لم اسبب سوءاً لأي امرأة في حياتي. آه، افهم الآن لماذا انسحرت به... خوفاً من الحب، اليس كذلك؟ لكنك لم تفكري، يا ايتها الحمقاء المسكينة، بأنه سيفرض عليك اموراً اخرى...

- انا ... انا لم افهم ماذا تقصد....

ومن جديد شعرت بانجذاب لنظرة ستيفان هل سينفذ تهديده الآن هازئاً بكرامتها. ويفتك بها في الحال؟

فجأة سألها:

- كم عمرك، يا أليسيا؟

- ٢٤ سنة.

- ألم تسمعي من قبل بالانحرافات؟

- بلى. لكنك لا تريد ان تفهم...

- بل افهم الكثير. تريدين الزواج من دون القيام بالواجبات الزوجية. لو نجح دمسكينوس في اقناعك بأنه يكتفي بلمس يدك، اسمحي لي ان اقول لك بانك فتاة ساذجة الى حد بعيد. منذ موت تمارا عرفت عن هذا الرجل اموراً كثيرة، لا يمكنني ان اقولها لك من دون ان احمر خجلاً. فوراء المظاهر المحترمة يخبىء غرائز مجرمة وفاسقة. انه انسان متعفن حتى العظم!

توقف لحظة قبل ان يضم أليس اليه بقوة ويقول:

- تجدين صعوبة في فهم كلامي، اليس كذلك؟ لكن هذه هي الحقيقة. ومن حسن حظك انك وقعت بين مخالبي انا، الذي سأعاملك مثل انسان بشري. اما هو، لكان اعتبرك شيئاً مثل اي شيء آخر. هل كلامي واضح؟

ارتجفت أليس. اذا كان ما يقوله صحيحاً، فهذا من حسن حظ البيرتا. لكن ذلك لن يغير شيئاً في مصيرها. فالقدر رماها بين ايدي هذا الرجل اليوناني الذي يعد في ان يبلغ ثاره مهما كان الوضع.

- اذا تمكنت من ان ابرهن لك بأنني لست خطيبة دمسكينوس، فهل ستدعني اذهب وشأني؟

www.elromancia.com

ـ عدنا الى الموضوع من جديد. اذن يوجد في العالم فتاتان تدعيان أليس شيلدون.

ـ لدي شقيقة تدعى البيرتا. ذهبت الى سيلان لتتزوج من رجل احبته منذ سنوات عديدة لكنه كان قد تزوج من فتاة اخرى. واثناء ذلك، كانت اختي قد تعرفت الى دمسكينوس وخطبته ولما علمت بأن حبيبها فقد زوجته، قررت فسخ الخطوبة والذهاب الى سيلان بناء لطلبه لكنها لم تكن تتمتع بالشجاعة الكافية لتعلم دمسكينوس بالأمر شخصياً. فوكلتني انا بالأمر...

ـ خطيبة دمسكينوس تدعى أليس وليس البيرتا.

صرخت أليس فاقدة الأمل:

ـ لقد كذبت...

يا الهي كيف سأتمكن من اقناعه ان يصدق كلامي ويعيد اليّ حريتي؟

اضافت تقول:

ـ كانت البيرتا دائماً تفضل اسمي. ولأي سبب استعملت اسمي مع دمسكينوس؟ لا اعرف! لكن بامكاني الاتصال بها في سيلان وابرهن لك عن وجودها. ارجوك، اعطني حظاً لأبرهن لك الحقيقة، قبل ان ترتكب ما لا يمكن التعويض عنه.

قال بقسوة:

ـ حسب رأيي انت تحاولين كسب الوقت. احب ان اصدق بأن لك اختاً تعيش الآن في سيلان. لكن قصة تغيير الاسم امر لا يصدق! الم تقولي لي، عندما كنا في الزورق بأن دمسكينوس سيرسل من يأتي لنجدتك؟

ـ كنت... كنت قد فقدت الأمل. واعتقدت ان هذا النوع من

التهديد سيجعلك تفكر بالأمر وتعيدني الى اثينا.

ـ الظاهر انك حتى الآن لم تتوصلي الى معرفتي، يا أليسيا...

ـ وانت، ما تعرفه عني خطأ فادح، ما دمت تتصور بأنني انجذبت الى دمسكينوس هذا. انا لا اشبه البيرتا، لا جسدياً ولا فكرياً.

ـ كيف تنوين برهنة كلامك؟

ـ هل... هل من الممكن ان ارسل برقية الى اختي؟ لدي عنوان هاري خطيبها. سأطلب منها ان تؤكد لك بانها كانت فعلاً خطيبة دمسكينوس.

ـ آه، فهمت. هل انت صديقة حميمة لأختك؟

ـ كلا، ليس تماماً.

ـ هل بامكانها ان تكذب لتخلصك من... هذه الورطة؟

اجابت أليس بمرارة:

ـ آه، لا. لا تخف من ذلك، لا خطر، لأن البيرتا فتاة انانية... اذن، هل بامكاني ان ارسل لها برقية؟

ـ سأرسلها بنفسي. ستعطيني عنوان اختك في سيلان وسأطرح عليها السؤال بنفسي. ومصيرك متعلق بجوابها. هل اتفقنا؟

شعرت أليس بارتياح وقالت:

ـ آه نعم. كم من الوقت نحتاج للحصول على الجواب، حسب رأيك؟

ـ ربما اسبوع. ربما اكثر. فسيلان بلد بعيد في آخر العالم.

ـ ومن الآن حتى... ذلك الوقت...؟

ابتسم بسخرية وهو يرى ارتجاف شفتي أليس وقال:

ـ حتى ذلك الوقت سأكف عن ملاطفتك ما دام ذلك يزعجك. لكنني انبهك، اذا كانت البرقية تعاكس اقوالك، فلا مجال لطلب

www.elromancia.com

الأمان او العفو. هل فهمت؟

اشارت برأسها في حركة ايجابية. وشعرت بخوار في قدميها. فجلست على المقعد الجلدي بينما راح ستيفان يشعل سيكاره.

سألها بعد ان اخذ مجة عميقة:

- والآن، قولي لي. الم يحبك احد عندما كنت صغيرة؟

- لكن، بلى...

طبعاً لم تحصل أليس على الدلال مثل البيرتا. لم يمدحها احد وكانت عائلتها تدعوها الفتاة «الجدية» لأنها كانت تنصب على القراءة بنهم ولا تبالي بشيء آخر. وذات يوم سمعت عمتها تقول: «للأسف على هذه المسكينة ان ترتدي النظارات. فهي قبيحة من دونها ايضاً! وليس من الصعب التنبؤ بنجاح اختها تجاه الرجال اما هي...».

وببطء رفعت أليس نظرها المتكدر نحو ستيفان فقال لها، مقطب الحاجبين:

- لا تنظري الي هكذا. لقد وعدتك بأنني سأرسل البرقية وهذا ما سأفعله. اليوناني عندما يعد يفي بوعده.

اجابت بتهذيب:

- اشكرك.

وفي مقعدها المريح استرخت أليس وراحت تفكر بأن عليها الآن قضاء عطلة قصيرة على هذه الجزيرة اليونانية بانتظار وصول رد البيرتا. في حقيبتها وضعت بزة السباحة وحنجراً من الزيت الواقي لأشعة الشمس واقلاماً ودفاتر... باختصار، كل ما تحتاجه لتمضية الوقت.

فجأة قال ستيفان:

- من زمان ولم اشعر برغبة في حضور انثوي. الظاهر انك تحبين

الملابس الجدية. اما انا فأفضل الملابس المريحة، الخفيفة... اتمنى الا تنقصك الملابس الخاصة بالسهرات كالتي ارتديتها مساء امس. افرحيني وارتدي واحدة منها. ارجوك ايضاً عدم رفع شعرك واتركيه حراً يتطاير فوق كتفيك.

- هل هذه اوامر؟

- اوامر؟ كيف بامكانك قول مثل هذه الكلمات! اني اقدم لضيفتي ببساطة استقبالاً غير معقد هل اشتريت ثياباً فاخرة فقط لارتدائها في وحدة غرفتك؟ يا للأسف؟

- انا لست انسانة طائشة او هائمة، يا سيد كسندر وس.

- لكني لاحظت في حقيبتك عدداً من الملابس توحي بعكس ما تقولينه.

رمى سيكاره في المدفأة وقال:

- اطلب منك ان ترتديها... وان تناديني ستيفان.

- وماذا اذا رفضت؟

- قدمت لك خدمة، يا اليسا لماذا لا تباديلنني بالمثل؟

- الظاهر انه ليس لدي اختيار.

- بالفعل.

ظهرت امرأة في عتبة الباب، وكأنها من القرن السابق، ترتدي قبعة مطرزة وثوباً حريرياً اسود واللؤلؤة تتدلى من اذنيها. نظرت الى أليس بامعان فقال لها ستيفان:

- الآنسة شيلدون، ضيفتي، يا كاترينا...

ثم التفت بأليس وقال:

- خادمتي، ستكون تحت تصرفك كلياً.

قالت أليس بلطف وتهذيب:

www.elromancia.com

- تشرفنا.

احنت كاترينا رأسها وسأل ستيفان:

هل آخذ الآنسة الى شقة الشرق؟

- طبعاً والآن. من اجل ان توضب حقيبتها وتتحضر للعشاء.

نهضت أليس بهدوء وسألته:

- اي ساعة تتناول العشاء؟

- في التاسعة، يا أليسيا.

- اذن، الى اللقاء، في التاسعة . . . يا ستيفان.

- اذكرك بان تغيري هندامك وترتدي الملابس الأنيقة استعداداً للعشاء.

احنت رأسها بابتسامة مرغمة وتبعت الخادمة، نحو سلم يقودها الى الطابق الأعلى.

٥ - في قلعة القرصان تتعرف اليس الى خدمه وعالمه وتكتشف سراً من ماضيه مع تمارا الشهيدة التي تدفع هي ثمن موتها. . . فغرفتها هناك وصورتها تشبهها الى حدّ لا يطاق. . .

كانت غرفتها رائعة. وفي قبة مقنطرة يقع سريرها المغلف بشرشف ملون بالابيض والاحمر والذهبي. يفترش الارض بساط من الالوان الغامقة التي تظهر بدقة نوعية الاثاث المصنوع من الخشب الغامق. كما تظهر بياض الجدران وزرقة السقف.

سلم صغير يؤدي الى شرفة واسعة، تحتوي على مفروشات من القش والدرابزين مغطى بالنباتات المتسلقة. شرحت الخادمة قائلة:

- هل يعجبك المنظر؟

اجابت أليس وهي تنحني من وراء الدرابزين:

- انه حقاً رائع!

الشرفة تطل على حديقة شاسعة حيث المصابيح تلقي بنورها

www.elromancia.com

الشبحي على الاشجار والعشب الذي يلوحه الهواء الخفيف.

وبعد قليل رافقتها الخادمة الى غرفة الحمام المتصلة بغرفة النوم. فدهشت اليس لروعة المغطس والمغسلة المصنوعان من البورسولين الابيض المرصع بالاكاجو. وفي احدى زوايا الحمام سخانة ماء حديثة الصنع، تتناقض مع الشقة القديمة العهد.

قالت الخادمة:

ـ لقد جهز سيدي المكان بمولدة كهربائية. فالماء الساخنة موجودة باستمرار. والآن اصبح المنزل كله يتمتع بكل اساليب الراحة... لم يكن هذا موجوداً خلال وجود الرهبان في الدير.

كانت الخادمة تحدق بأليس باستمرار وتتابع قولها:

ـ من النادر ان يأتي سيدي بالضيوف الى هنا. هل بامكاني ان اسألك، يا آنستي، منذ متى تعرفين سيدي؟

ـ ليس من وقت بعيد.

كيف بامكانها ان تقول للخادمة بأن سيدها خدّرها وخطفها وجاء بها الى هنا على متن باخرته؟ هي بنفسها تجد صعوبة في تصديق ما حصل في الواقع!

قالت كاترين بنظرة غريبة:

ـ احب ان اريك شيئاً، يا آنستي. اذا تفضلت وتبعتني... اعتقد ان ذلك قد يثير اهتمامك.

ابتسمت أليس بغضض واجابت:

ـ بالطبع.

تبعت أليس الخادمة في ممر واسع مضاء بالمصابيح الكهربائية المعلقة على الجدران وبثريا كبيرة نحاسية معلقة على السقف فوق بئر السلم. في آخر الممر توقفت كاترين امام باب كبير، وترددت لحظات

قصيرة، ثم قررت فتحه واشعلت ضوء الغرفة واشارت الى اليس ان تتبعها.

حبست الفتاة انفاسها وهي تدخل الى هذه الغرفة الشاسعة البيضاء والذهبية التي يتصدرها سرير له قبة تشبه العرش. وينحدر على السرير، من قمته، وشاح من الموسلين الابيض المزيّن بالزهور المطرزة. وفي السقف لوحة جدرانية تمثل الحوريات بلباس خفيف. المقاعد مغلفة بالحرير الفاخر. الكريستال والآنية الفضية تلمع على منضدة الزينة المصنوعة من خشب الورد.

قالت أليس وهي تدوس بمتعة البساط الأبيض السميك الذي يفترش الارض.

ـ يا لهذا الجمال الساحر! من ينام هنا، يا كاترينا؟

ـ الشبح.

امسكت الخادمة بمعصم أليس واخذتها الى الطرف الآخر من الغرفة، امام كوة في الحائط فيها تمثال وزهرية. ثم كبست على زرّ كهربائي، فأضيء المكان عن لوحة كبيرة ترمز الى صورة فتاة واقفة على الشاطىء امام الصخور والامواج. الريح تلاعب شعرها الطويل الاسود وثوبها الخفيف، فوق جسم ممشوق ونحيل. كانت قدماها عاريتين تنغرزان في الرمال وذراعها مرفوعة كأنها تشير الى شخص ما.

حدقت أليس بوجه الفتاة في الصورة. لم تكن جميلة بالفعل لكن هناك ما هو مثير في فمها المليء وشفتيها الحمراوين وعينيها البحريتين ورموشها الطويلة الغامقة.

شعرت أليس كأنها دخلت الى مكان محرّم، فهمست بانزعاج:

www.elromancia.com

ـ من تكون؟

اجابت الخادمة وهي تحدق بأليس باستمرار:

ـ تدعى تمارا. انها لوحة مكبرة لصورة عادية. انظري الى خاتمها لونه بلون عينيها. انظري الى الدقة في سلسلة يدها الذهبية. يمكننا ان نرى كل التفاصيل، حتى الكدمة الصغيرة في قدمها.

فتحت أليس عينيها الواسعتين وهزت رأسها مندهشة. فتابعت الخادمة تقول:

ـ هل تلاحظين كم تشبهك؟

اجابت أليس بحدة:

ـ كلا.

ـ لكن الشبه ظاهر بوضوح. العينان، وشكل الفم وخاصة لون عينيها... لاحظت الشبه في الحال. اعتقد لهذا السبب جاء بك سيدي الى سولبتاريا.

رددت أليس وهي تهز رأسها:

ـ كلا- هذه الفكرة غير معقولة. انا... لقد جئت الى هنا لقضاء عطلة صغيرة وهذا كل ما في الامر، ولكي اقوم برسم الجزيرة. انا رسامة وانشر رسومي في الكتب. ولا يمكنني ان اقيس نفسي بالرجل الذي صنع هذه اللوحة. انها رائعة، لكنني لا ارى اي شبه لهذه المخلوقة بي.

اصرّت كاترينا قائلة:

ـ آه، بلى... لكن علينا الخروج الآن من هنا قبل ان يفاجئنا سيدي.

اطفأت الضوء، فتوجهت أليس نحو الباب وهي ترمي على

الغرفة الغريبة نظرة اخيرة، وتفكر بأنها تشبه مقبرة حقيقية. ارتعشت: ما هذا السرير الفارغ... ومنضدة الزينة اللافائدة لها... والخزانة الواسعة التي تحتل جداراً بكامله.

بحشرية سألت:

ـ الخزانة... هل هي فارغة؟

تريد ان ترى داخلها. فتحت باب الخزانة وحبست انفاسها. بداخلها تعلق فستان من الدانتل العاجي المطرز بالزهور المختلفة الانواع والالوان.

اغلقت باب الخزانة بعنف وراء ثوب العرس الذي لا يخدم لشيء وقالت لنفسها: هذا ليس حباً، لكنه مرض!

قالت بصوت مرتفع:

ـ لماذا يرفض قبول موتها؟ وما فائدة كل هذا؟ لا شيء بامكانه اعادتها اليه. لا شيء، هل تسمعين؟

ـ من يدري؟ ما زال سيدي شاباً وفي عزّ شبابه. عندما ماتت كان في الثالثة والعشرين من عمره. لماذا يتعلق بالماضي بهذه الطريقة اليائسة؟ من يدري، ربما يبحث عن انسان يذكره بها... او يحل مكانها؟

صرخت اليس وقالت:

ـ هل تتصورين بأنني هنا لهذا الهدف؟

ـ اليس هذا حقيقة، يا آنسة؟

هزت أليس رأسها بعنف فتطاير شعرها ليغطي وجهها فقررت ان ترفعه كعكة لئلا تشبه تمارا. وبخطى اكيدة خرجت الى الممر وشعرت بارتياح عندما سمعت كاترينا تغلق الباب على اشباح الماضي.

ثم قالت للخادمة:

www.elromancia.com

ـ انا هنا في سوليتاريا لأسبوع فقط. وسأعود الى منزلي في انكلترا. ولا انوي البقاء هنا بحجة اني اشبه خطيبة السيد كسندر وس القديمة. وحسب ما رأيت داخل غرفتها، ادركت انه ما زال يحبها وهذا امر حتمي، واعتقد انه لا يفكر ان يحل مكانها احد.

ـ لست اكيدة من ذلك، يا آنستي.

توقفتا امام غرفة أليس فسألتها الخادمة:

ـ هل ترغبين بخادمة خاصة بك، لتساعدك على ارتداء ملابسك وتسريح شعرك؟ شعرك رائع يا آنسة، كثيف ولماع مثل شعر اليونانيات. هذا نادر لفتاة انكليزية.

ـ انا ايرلندية من جهة والدتي. بشرتها اغمق من بشرتي. ماتت عندما كنت صغيرة، لكنني ما ازال اتذكر وجهها... كانت جميلة جداً... اجمل مني بكثير...

هزت كاترينا كتفيها وقالت:

ـ آه، الجمال... ليس وحده الموجود في الحياة! عندنا الشغف اهمّ شيء.

غيرت أليس الحديث قائلة:

ـ لا اريد احداً ليساعدني. لقد كانت تربيتي بسيطة وأنا معتادة ان اهتم بأموري بنفسي.

ـ كما تشائين، يا آنسة.

ابتعدت الخادمة ودخلت أليس غرفتها، مضطربة لما سمعت ورأت. اقتربت من منضدة الزينة وراحت تتأمل نفسها مطولاً لترى ما اذا كان الشبه حقيقياً...

كيف ستتخلص من ستيفان؟

متى شاهدها للمرّة الأولى؟ مساء امس فقط عندما دخل الى غرفة

الفندق ورآها في الفستان الزهري والشعر المنسدل! ما الذي خطر ببالها ان تلعب دور مغرية الرجال! لما كان لاحظها ابداً لو كانت رافعة شعرها كعكة ولابسة نظارتيها وفستانها الكلاسيكي المزرر حتى العنق. اطلقت زفرة عميقة ونزلت في السرير محدقة في رسوم البساط. هل سيفي ستيفان كسندر وس بوعده ويتركها تغادر الجزيرة بعد ان يتلقى جواب البيرتا؟

ومطولا راحت تتذكر كل ما حدث على متن السفينة وكل ما سمعته من كاترينا. وانكشح الحجاب شيئاً فشيئاً. وفهمت اخيراً ما الذي كان يحيّرها في تصرفات ستيفان. نعم، رؤية شعرها الكستنائي وعينيها البحريتين، تشبهان عيني تمارا، كل هذا ايقظ عند هذا اليوناني جميع الاحاسيس المكبوتة منذ مدة طويلة. ليست هي من ايقظ رغبته، انما الذكرى الحية لتمارا دفعته الى ان يضمها من جديد في ذراعيه ويعانقها الى ما لا نهاية.

والآن اصبح الوضع اكثر تعقيداً مما كان عليه في البدء، عندما كانت تجهل الشبه بينها وبين تمارا. لقد وقعت في المصيدة، كيف ستتمكن من الخروج من هذا المأزق؟

نظرت الى ساعة يدها ولاحظت ان الوقت مرّ بسرعة. عليها ان تنصرف الى افراغ محتويات حقائبها وتحاول استعادة وعيها. ومن الافضل لها، في الوقت الحاضر، ان تتصنع الخضوع لأوامر خاطفها. ربما تجد في الجزيرة انساناً مستعداً لاعارتها بعض المال لأن المال يحقق العجائب.

فتحت حقائبها وأخرجت منها كل ما وضعه ستيفان فيها من اغراض. لقد أمرها بان ترتدي الملابس الجميلة وان تترك شعرها ينسدل على كتفيها. لكنها لم تكن ترغب الا في فعل عكس ذلك.

وفكرت انه من الافضل لها الاستسلام والانصياع لأوامره لانه قادر ان يرغمها على تغيير ملابسها وتسريحة شعرها، مهما صرخت وترجت، فلن يسمع لها... والموظفون هنا سيتجاهلون صراخها ويستمرّون باعمالهم كأن شيئاً لم يكن.

نعم يجب الخضوع للشيطان من اجل جعله اليفاً. اذن قررت ارتداء البزة المثيرة التي اشترتها خصيصاً لهذه الرحلة. انه فستان من الحرير المطاط والمعرق بالالوان الزاهية التي تليق بلون عينيها. هل ستجرؤ على ارتدائه خلال العشاء مع ستيفان كسندريوس؟ الن يكون ذلك تحريضاً واثارة من قبلها؟ عدلت عن رأيها وقررت ارتداء بزة كلاسيكية محتشمة. لكنها تذكرت تمارا. نعم تمارا، وادركت ان ستيفان لا شك وجد فيها شبهاً لخطيبته. راح قلبها ينبض بسرعة جنونية وقررت الا تظهر بمظهر يشبهها بتمارا. لذلك عادت الى عدم تغيير رأيها وارتداء الفستان المثير الذي سيجعلها بمظهر المرأة القدرية، والذي ربما سيحميها من هذا الرجل الذي يريدها بالرغم من كرهه الشديد لها، فقط لأنها تذكره بحلم لم يتحقق.

وقبل ان تدخل الى الحمام اعدت كل امتعتها ووضعتها على السرير: الفستان والتنورة الداخلية والحذاء العالي المذهب. فتحت علبة مجوهراتها المتواضعة واختارت سلسلة عاجية تحمل قلباً ذهبياً.

وضعت في ماء الحمام كمية لا بأس بها من الزيوت المعطرة ودخلته وبقيت وقتاً مطولاً مسترخية في الماء الفاترة.

كان من عادتها ان ترتدي ملابسها بسرعة، لكن في هذا المساء بالذات قررت ان تتشبه بالبيرتا فأخذت وقتاً طويلاً لتزين وجهها وترفع شعرها بشكل كعكة.

ولما نظرت الى نفسها في المرآة لم تصدق انها هي تلك الفتاة

الممشوقة، تنتعل الحذاء المرتفع والحرير الناعم المطاط.

زرعت الغرفة ذهاباً ايباباً، ثم خرجت الى الشرفة، لتعتاد على المشي في الحذاء العالي. لم يسبق ان كانت جذابة ومغرية هكذا. هل ستجرؤ على الظهور هكذا او تغير ملابسها بسرعة في آخر لحظة؟

انتفضت لسماعها طرقاً على الباب، فقالت:

- ادخل.

اطلت خادمة صغيرة على العتبة وقالت:

- آه، الآنسة ارتدت ملابسها!

لغتها الانكليزية ضعيفة لكنها مفهومة. انها تشبه الخادمة الكبيرة. لا شك انهما قريبتان.

- عمتي ارسلتني فيما اذا كنت بحاجة الى مساعدتي لكن ما دمت مستعدة الآن سآخذك الى غرفة الطعام.

- هذا لطف منك.

ترددت اليس لحظة كأنها ترغب في تغيير ملابسها من جديد، لكن الخادمة بانتظارها وقالت لها باعجاب:

- فستانك رائع للغاية، يا آنسة. هل هو من صنع باريس؟

- كلا، لماذا؟ انه من لندن.

ابتسمت الخادمة وقالت:

- يدير اخي مطعماً صغيراً في لندن وفكرت ان ازوره يوماً. كيف تجدين لغتي الانكليزية؟

- لا بأس بها. اتمنى ولو اتكلم اليونانية هكذا.

- لغتنا صعبة. وللتمكن منها جيداً يجب تعلمها منذ الطفولة.

العينان السوداوان تحدقان باليس بقوة غريبة. ولا شك ان الفتاة وعمتها ناقشتا التشابه بين الفتاة الانكليزية وخطيبة السيد الراحلة.

ـ هل هي رحلتك الاولى الى اليونان، يا آنسة؟

ـ نعم.

توجهت أليس الى منضدة الزينة لتأخذ حقيبة يدها الذهبية وسألت الخادمة:

ـ هل تعرفين اذا تمكن السيد كسندريوس من ارسال برقية عبر المحيط؟

ـ نعم، يا آنستي. الزورق غادر الجزيرة في الثامنة وعرفت من عمتي ان القبطان موكل ايصال رسالة ما.

قالت أليس بارتياح:

ـ عال. ان الرسالة تتعلق بعودتي الى انكلترا، في الاسبوع المقبل.

فوجئت الخادمة وقالت:

ـ آه، الا تبقين هنا مطولا؟

ـ اسبوع واحد فقط... ما اسمك؟

اجابت الفتاة بعدما القت نظرة كاملة داخل الغرفة.

ـ اسمي هيلدا... كنت اعمل قبل الآن في منزل امرأة انكليزية تعمل في سفارتكم. كانت غير مرتبة ووسخة. لكن انت، يا آنستي، انا معجبة بترتيبك لهذه الغرفة.

ـ منذ الصغر وانا اتدبر اموري بنفسي. ارى ان الترتيب يكسب الوقت. وبالنسبة اليّ، الوقت غالي الثمن. العمل بانتظاري في لندن ولا يمكنني ان اتأخر اكثر من اسبوع. اقوم ببعض الرسوم للمجلات النسائية.

ـ قالت لي عمتي بأنك فنانة.

ـ انها كلمة كبيرة. من حظي ان اعرف كيف اخط على الورق. وهكذا اكسب معيشتي بشرف. لكن لا مجال هنا للكلام عن

المواهب. العبقرية ليست ملك الجميع.

ـ غير ان... اللوحة في الغرفة العاجية... انها لوحة رائعة، اليس كذلك؟

ـ نعم، انها رائعة حقاً...

وخوفاً من الاستمرار في الحديث عن هذا الموضوع، اطفأت أليس الضوء وخرجت من الغرفة وقالت:

ـ لقد حان الوقت، يا هيلدا. خذيني الآن الى غرفة الطعام. لا اريد ان ادع السيد كسندروس ينتظرني كثيراً.

تبعت أليس الفتاة اليونانية وهبطت السلالم الحجرية المضاءة بثريا نحاسية تعود الى القرن الفائت ثم اجتازت البهو. فتحت الخادمة باباً عريضاً ودخلت أليس بعد ان قالت للخادمة:

ـ شكراً.

لم يكن ستيفان في الداخل. اختفت الخادمة تاركة الباب مفتوحاً. شعرت أليس بالبرد فاقتربت من المدفأة حيث يشتعل الحطب محدثاً رائحة حلوة. راح قلبها ينبض بقوة. وقررت النظر بامعان في ارجاء الغرفة المضاءة بالمصابيح الخفيفة. الستائر السميكة تخبىء النوافذ كلياً. الكراسي ذات المساند المنحوتة تحيط بالطاولة المستطيلة. الشموع تنير كؤوس الكريستال بالالوان العديدة. مزهرية تحمل زهوراً وخنشاراً تتصدر وسط الطاولة. الايقونات المرسومة على الخشب تلمع ببطء في الغرفة. بساط سميك اسود واصفر يفترش ارض الغرفة.

في هذه الغرفة الغريبة والرائعة، شعرت أليس بالغربة بالرغم من استلطافها الذوق والجوّ وأثاث الغرفة.

شيء وحيد لفت نظرها من بين هذه المجموعة الفاخرة هو مصباح

صغير نحاسي . . . كأنه لعبة طفل. هل كان ملك ستيفان عندما كان صغيراً، هذا الولد الوحيد، اليتيم منذ الصغر؟ وهذا الرجل الذي وقع في حب تمارا منذ نهاية طفولته . . . تمارا . . . ذكراها ما تزال محفورة في قلبه حتى الآن؟

فجأة انتابتها ارتعاشة غريبة، اذ ظهر ستيفان كسندروس على عتبة غرفة الطعام. كان يرتدي بزة سموكينغ عنابية وعقدة فراشة فوق عنقه، تظهر بياض قميصه الناصع. فجأة اصبح جوّ الغرفة مكهرباً. فتقلصت أليس لاقتراب ستيفان نحوها الى حدّ اللمس وهو ينظر اليها بتفصيل في كل انحاء جسمها.

امسك بمعصمها بشدة وقال:

ـ هذا الثوب غير لائق كلياً. اذن، تصوّرت بأنني بحاجة الى تناول العشاء مع فتاة شبه عصرية. لو كنا وحيدين لامرتك ان تغيري ملابسك في الحال.

قالت بصوت متقطع.

ـ كيف اعرف ما تريديني ان ارتدي. انت الذي طلبت مني ارتداء ثوب انيق وخفيف . . .

ـ نعم، لكني لم اطلب منك ان يكون الثوب غير محتشم!

ـ حتى لو ارتديت ثيابي العادية لوجدت شيئاً تقوله. يجب ان تقبل بأنني، ببساطة، اليس شيلدون وليست . . . واحدة اخرى.

ـ الجواب على البرقية سيضع النقاط على حروفها. ارسلتها اليوم بواسطة رسول صديق، سيجلب لك نظاراتيك في الوقت نفسه. اعتقد بأنك ستحتاجين اليهما للرسم.

ـ شكراً.

قال وهو يرفع ذقنها ليرغمها على النظر اليه:

ـ انظري اليّ جيداً. انا رجل يوناني، ولا احب ان يسخر مني احد عمداً.

احتجت قائلة:

ـ هل طلبت مني ان ارتدي ملابس انيقة للعشاء، نعم ام لا؟

ـ لكنني لم اطلب منك ابداً ان تخلعي ملابسك. ولنفترض اني اعتبر هذا المظهر كدعوة لاثارتي، ماذا ستفعلين؟ سيغمى عليك من جديد؟

احمرّت اليس وقالت:

ـ اذا كان فستاني يصدمك، فبامكاني ان اذهب لتوي الى غرفتي وابدله، وفي اسرع ما يمكن.

ـ سيقدم العشاء في اي وقت الآن . . .

نظر الى القلب الذهبي الذي يلمع على صدرها وقال بسخرية.

ـ هل ارتديت ذلك لتغطية قلة حشمتك.

احمرّت اليس خجلا، اذ عرف كيف يقرأ في افكارها. كادت ان تسأله اذا كان يأمل بتناول العشاء مع شبح مساء امس في الفندق، وصباح اليوم في الزورق، واذا كانت تذكره دائماً بتمارا. اما الآن فلا شك انها وشوشت افكاره، واغاظته. قدم لها كرسياً، فجلست وقالت:

ـ الذي يسمع ما تقوله، يعتبر انني انسانة مختلة او محتالة. كم مرة يجب عليّ ان اردد على مسمعك بأنني لست الا فتاة عادية، قبيحة، لم يسبق ان اهتم بها رجل واحد من قبل؟

ـ لكن، انا، الا تعتبرينني رجلا . . .

ـ بلى، لانك ترى بأنني . . .

عضت على شفتيها واضافت:

www.elromancia.com

ـ كنت دائماً ارغب في ان اشبه اختي البيرتا. ولا شك ان ذلك هو السبب الذي دفعني الى شراء هذا الثوب.

ـ آه، فهمت؟ اختك ترتدي ملابس من هذا النوع.

مدّ يده اليها. فشعرت بتيار كهربائي عنيف يجتازها، فتقلصت. ضحك ستيفان وابتعد عنها ليجلس على الطرف الآخر من الطاولة ثم راح يحدق بها بنظرات مليئة بالحيرة والارتباك ويقول:

ـ انت تصغرين اختك بكثير، اليس كذلك؟

ـ كلا. انا اكبرها بسنتين.

ـ فهمت منك انها تكبرك سناً وانها اكثر عصرية و...

ابتسمت أليس وقاطعته:

ـ اكثر عصرية، نعم. لا شيء يجمع بيننا، ان من الناحية الشكلية او النفسية... في الحقيقة، كنت... دائماً... احسدها. فهي تعرف اخذ الامور من الجهة الحسنة، و...

ـ اصدقك. انها فراشة اليس كذلك؟ وانت، يا اليس، من تكونين اذن؟ حرباء تتستر تحت الوان مختلفة؟

ـ لست بهذه الغرابة، ابداً. انا فتاة جدية وباهتة جداً... اي نقيض اختي كلياً. البيرتا تجثم ارادياً فوق اقدام الرجال. اما انا فكنت في زاويتي مع نظارتي وظاهرياً فرحة بقدري. لكنني كنت احب مثل اختي الصغيرة ان يقدم لي الرجل الحلى والمجوهرات بدل الكتب وعلب التلوين.

نظر اليها عميقاً وسألها:

ـ قولي، الم تتخاصمي ابداً مع شقيقتك؟

هزت اليس رأسها سلباً وقالت:

ـ لم اكن أريد ان تشعر شقيقتي بغيرتي القوية. عندما كانت البيرتا

تعرض الهدايا امام رفاقها في المدرسة كنت اتصنع اللامبالاة كلياً.

ـ كان من الافضل عليك ان تغضبي احياناً وتطلبي المساواة.

وضعت يدها على السلسلة وعلى القلب الذهبي وقالت:

ـ كنت اكره التوسل فاشتري كل ما اريده، مما اوفره.

ـ اذن اشتريت هذا العقد بنفسك، اليس كذلك؟ واتصوّر انه يعني لك الكثير. هذا القلب الرائع... البعض يغلقون قلبهم خشية من العذاب... آه، لا شك انك ذقت امرّ العذاب...

ازاحت نظرها وقالت:

ـ لكنني ما ازال حية ارزق.

اخذ الحديث مداراً غير منتظر. فأسئلة ستيفان احرجتها ووضعتها في موضع حيرة وانزعاج. انها تكره ان تفصح بما خبأته طيلة حياتها عن قصد. فجأة شعرت بالارتياح عندما دخلت هيلدا تدفع طاولة الطعام، تتبعها كاترينا بثوبها الاسود الانيق وراحت تقدم لهما العشاء.

قال ستيفان:

ـ آه، الرائحة ذكية وعطرة.

ـ الخروف طرّي ولذيذ الطعم، يا سيدي. اتينا به من مزرعة اكيلو... على فكرة، قال لي ابنه منذ قليل ان الكلب المتوحش ما زال يحوم حول خرافه. واذا لم تتوصل الى قتل هذا الحيوان المفترس، اخشى من حدوث كارثة مؤلمة.

ـ سأتصل به واحدثه عن هذا الموضوع. اخبريني، ماذا حلّ بالتحضيرات الخاصة بزواج ابنته؟

ـ حسب ما سمعت، المزرعة اصبحت مكتظة والاعمال تجري بجنون: الخياطة مستمرة ليلاً نهاراً والطبخ أيضاً. سيكون هذا

الزواج حدث السنة.

- اريد ان اطلب من اكيلو ان يسمح لي بدعوة ضيفتي الى العرس. الاعراس اليونانية طريفة ومليئة بالالوان، يا اليسيا!

شعرت أليس بالعيون تحدق بها، فأسرعت تقول:

- لا تنسى، يا ستيفان، بأنني عائدة الى لندن الاسبوع المقبل.

- متى موعد العرس، يا كاترينا؟

فكرت الخادمة لحظة ثم قالت:

- بعد ٢٠ يوماً، يا سيدي... آه، يا للأسف، الأنسة مضطرة لمغادرتنا بهذه السرعة!

همس ستيفان قائلا:

- نعم.

نهض ليملأ كأس أليس، وران صمت قصير. لم تجرؤ اليس على النظر اليه، نعم، لقد وعد بترحيلها... اذا كان جواب البيرتا يؤكد اقوالها.

- لم يعد يلزمنا شيء، يا كاترينا. شكراً. بامكانك ان تتركينا الآن.

ابتعدت الخادمة وتبعتها ابنة اخيها وهي تقول:

- هنيئاً.

وقف ستيفان امام كرسي أليس، وسألها:

- هل يعجبك هذا الشراب؟

لم ترد عليه. وظلت محدقة بصحنها المليء بالقريدس المحاط بالخبز والزبدة. ثم قال:

- انظري اليّ.

نظرت اليه على مضض. ولم تتمكن من معرفة ما يدور في هذه

النظرات المحدقة بها. ثم قالت:

- ما رأيك لو عرف الجميع انك جئت بي الى هنا بالقوة؟

- لن يكون لكلامك اي صدى.

رفع كأسه ثم قال:

- في كل حال لا سبب للاعتراف بالأمور للآخرين. قلت لي بأن اختك ستؤكد صحة اقوالك، ومن جهتي انا، سأفي بوعدي. اذن... الا تثقين بي؟

- اوه...

عادت الى ذاكرتها الغرفة العاجية. فكأنه عرف ما يجول في خاطرها، فقطب حاجبيه وقال:

- هيّا، لنأكل ولنحاول نسيان ما يفرّقنا... ولو لفترة قصيرة. في صحتك، يا أليسيا. وارجوك، نصيحة واحدة، لو سمحت: لا تقطفي التين قبل نضوجه.

- ماذا تعني؟

- اليس واضحاً ما اقوله؟ في بلادي التين هو رمز الخصب. ويجب ان نتركه لينضج.

احمرّت اليس واحنت رأسها. ثم راحت تأكل من صحنها بطريقة فوضوية فسألها:

- الم يسبق ان تذوقت القريدس قبل الآن؟

- نعم.

انحنى واخذ شوكتها من يديها وراح يساعدها على خلع قشرة القريدس (الجمبري) القاسية ويقول:

- ما بالك يا صغيرتي، ما عليك سوى خلع القشرة هكذا.

- صحيح؟

www.elromancia.com

ـ ليس ما تأكليه مسهلا للمعدة!

تذوقت القريدس المغمس بعصير الحامض، فقال لها:

ـ حسناً ان طعمه جيد، كما ترين! اكملي وحدك الآن!

عاد الى مكانه. وبينما كانت أليس تتذوق فاكهة البحر كانت تفكر بالماضي عندما كان رهبان الدير هنا يقطعون الخبز بايديهم ويأكلون حساءهم بآنية من الخشب... فقالت:

ـ الا تفكر بأن هذا المنزل كان في الماضي مكاناً للصلاة؟

ـ لماذا؟ عملت كثيراً كي اتمكن من شرائه. ولماذا تريدين مني ان اعيش هنا كالراهب؟ فالله هو الذي خلق المرأة... وهو الذي اراد للمرأة والرجل ان يكملا بعضهما البعض... ولذلك اعطاهما الحب... اليس كذلك؟

تذكرت اليس الحادثة العاطفية التي حدثت لها في الزورق، حيث شعرت لأول مرة في حياتها بقوة الحب والرغبة.

ضحك ستيفان ثم اضاف:

ـ هل لديك رأي خاص بهذا الشأن؟

لم ترد عليه فأضاف يقول:

ـ انت تخافين من حقيقتك، يا اليس. آمل ان تتغيري في هذه الايام القلائل داخل الجزيرة. اتركي نفسك تنغمس بهذا الجو وانزعي عنك العقد والانحيازات والآراء المسبقة واركضي حافية القدمين على الصعتر البري!

مثل تمارا، فتاة الصورة، العارية القدمين والشعر المنسدل الذي تلاعبه الريح...

ـ لا تخدع نفسك، يا سيد كسندر وس الفتاة التي خطفتها الى زورقك هي اليس شيلدون البريئة ذات النظارات والتي تنتظر ان

تعود الى هدوء شقتها اللندنية.

نهضت وكأنها تريد ان تبرهن عن اقوالها، فأمرها قائلا:

ـ اجلسي. لن تذهبي الى اي مكان من دون اذني.

www.elromancia.com

٦ ـ كيف تتمكن اليس من تدجين هذا النمر الهائج؟ انه يرى فيها صورة سواها وهذا وحده يكفي لاشعال غضبها وجنونها، الاّ ان مشاعر اخرى آخذة في النمو في قلبها... تخيفها اكثر من أي شيء...

على مضض جلست في مقعدها وعيناها مشرئبتان غضباً.

فقال ستيفان:

ـ انا لا أصدق كلمة واحدة مما تقولينه... وانت أيضاً، في كلّ حال!

ـ انما هذه هي الحقيقة.

ـ لكنك تشوهينها.

ـ انت حقاً انسان مقيت.

ـ دعك من هذا الكلام التافه، يا عزيزتي... والآن لنأكل طعامنا قبل ان يبرد.

قدم لها قطعة من لحم الخروف المحمّر وبعض الأرز والباذنجان

المقلي وقال:

ـ هل هذا ما يكفي؟

نظرت اليه بغضب واجابت:

ـ نعم، شكراً.

ـ الا تعجبك ضيافتي؟

ـ ضيافتك؟ هل تمزح؟ انا لست هنا برضاي، كما تعلم!

ملأ كأسها وقال:

ـ لننسى ذلك الآن. استرخي. وتصوّري اني السيد الانيق والمضياف الذي لم يسبق ان شاهدت مثله في العالم كله. الا تحبين لحم الخروف؟

ـ لحم الخروف، بلى.

آه، لو انها اكيدة وواثقة منه تماماً... لكان ذلك ممتعاً ورائعاً ان تقضي في هذه الجزيرة المشمسة اسبوعاً جميلاً.

فجأة سألته:

ـ هل تأتي الى سوليتاريا غالباً؟

ـ آتي الى هنا لمدة قصيرة، عدة مرات في السنة وذلك كلما سمحت لي الظروف ان اتخلّص من دوامة الاعمال. لكن النجاح يفرض ذلك...

كلما ربحت اموالا، كلما دفعت ضرائب عالية. وكلما دفعت ضرائب عالية، كلما اردت العمل للتخلص منها! انها دائرة مفرغة. احياناً افكر ان ابيع كل شيء لاتقاعد هنا نهائياً وازرع الحامض والمشمش. بامكاني أيضاً ان احسن وضع بساتين التين والزيتون التي تزدهر هنا من أيام الرهبان. لكن ليعيش المرء هذا النوع من الحياة، فهو بحاجة الى الشعور بالاستقرار و...

www.elromancia.com

السعادة. . .

ـ وليست هذه حالتك؟

ـ ربما تكون حالتك انت. لا تقولي بأنك حققت كل احلامك!

تعرف اليس ماذا يقصد ستيفان بهذا الكلام. لكنها لن تحاول مرة اخرى الخوض في هذا النقاش. فسيعرف عما قريب انها لم تكن خطيبة دمسكينوس الفاسد.

ولتوضيح السؤال قالت:

ـ حدثني عن جزيرتك الآن، يا سيد كسندريوس. لا شك انها روعة ان يملك المرء بعض الاراضي في بحر ايجيه.

وحتى نهاية العشاء دار الحديث عن سوليتاريا وما يمكن للجزيرة ان تقدم من تسليات. السباحة شرط تحاشي الاماكن الخطرة. حمامات الشمس، تسلق الصخور. النزهات بين اشجار الزيتون والصنوبر والحور تحت السماء الزرقاء. . . كان يصف جزيرته بشوق وحنان وتمنت اليس لو لم يكن ستيفان قد خطفها، بل لو كان صديقها، دعاها لقضاء عطلة جميلة في جزيرته الساحرة.

ـ هل تحبين قليلا من القهوة؟ ليس فيها اي مخدر!

ـ كيف بامكاني ان اتأكد من صحة كلامك، بعد الذي حدث مساء امس؟

ـ ها انا سأشرب منها. انظري. آه، انها لذيذة، تماماً كما احبها. ساخنة وحلوة كالقبلة هيا، يا اليسيا، ما دمنا سنعيش معاً، عليك ان تثقي بي!

ـ ان نعيش معاً! ارجو عدم المبالغة.

ـ بل علينا ان ننام تحت سقف واحد. هل تريدينني ان انام في الزورق؟

ـ اتمنى ان يحدث ذلك. في كلّ حال انا هنا ضيفتك ولا اعيش في هذا المنزل.

ـ ليس هناك فرق شاسع بين ان نعيش معاً وان نعيش تحت سقف واحد. ربما لغتي الانكليزية ليست صحيحة مئة في المئة.

ـ لا، بل تتقن اللغة الانكليزية بصورة جيدة.

ـ لقد درست المهنة الفندقية في انكلترا. وهناك العديد من اليونانيين يدرسون في بلادك: المحاسبة، الدروس المصرفية، مهنة الاسلحة، الخياطة. . . وكل ما هناك من مهن اخرى. . . في جزيرتك الكبيرة يمكن دراسة اي شيء. . . هذه الجزيرة التي ندمت على مغادرتها، اليس كذلك؟

ـ هذا الأمر حقيقي وعليك ان تفهمه.

قال بسخرية:

ـ هل اليونان تخيّبك الى هذا الحد؟ تاريخنا وحضارتنا وثقافتنا كلها ثروة غير متناهية. . . وفوق كل ذلك هناك الشمس. هل تريدين المزيد من القهوة؟

ـ نعم، شكراً.

اقترح قائلا:

ـ لننتقل الآن الى غرفة الاستقبال. المقاعد هناك مريحة وخاصة بالنسبة اليك وانت في هذه الملابس الضيقة.

عضت اليس على شفتيها وفضلت لو تأوي الى فراشها، لكنها فضلت اطاعته لشدة انسحارها بهذا اليوناني النشيط، اليتيم الذي اصبح مديراً لعدة فنادق.

جلست على مقعد مريح وراحت تتنشق بفرح رائحة خشب الحور المشتعل والمنبثق من المدفأة. كانت تحمل فنجانها بيدها، وهو كان

www.elromancia.com

مستنداً على المدفأة.

سألته:

ـ هل انت يوناني مئة في المئة؟

ـ لماذا هذا السؤال؟

ـ لا اعرف. العديد من اليونانيين فيهم دم تركي، على ما اظن.

ـ امي من جبال مقدونيا. والشعب هنا يتمتع بطباع قاسية وشرسة. هل هذا التفصيل يكفي؟

ـ تماماً.

وبطرف عينيها نظرت الى هذا الشبح المرتدي السموكينغ العنابي، الشيء الوحيد العصري فيه. الباقي كله موحش وشرس. ازاحت نظرها عنه لتتأمل النار في الموقد. قال لها وهو يشير الى صحن الحلوى الموضوع قربها على الطاولة:

ـ خذي بعض الحلوى، فهي من صنع المنزل. وحسب شهيتك التي لاحظتها الآن، اعتقد انك لا تعانين من مشكلة السمنة. هل تحبين الحلوى الدسمة والعسلية؟

ـ بصراحة أجن بها.

ـ عندما اردت تأثيث هذا المنزل اشتريت يوماً في المزاد العلني عدة كتب ووجدت بينها كتباً بالانكليزية لمؤلف يدعى بوتون. اذا كنت تحبين المطالعة لا شك بأنها ستعجبك. انها مجموعة من القصص الفكاهية والرسوم المؤنسة حول الحريم الشرقي. وما كان يجري هناك كان حقاً رائع.

نظرت اليه اليس نظرة باردة وقالت:

ـ ولماذا تريدني ان استحسن الحريم التركي؟ اليس لديك موضوعاً آخر للحديث؟

ـ هل تعتقدين، يا اليسيا، ان المرأة تحب العيش هنا في هذه الجزيرة؟

هذا السؤال حيّرها، فلم ترد. ماذا يجري في دماغه؟ هل يعتبر نفسه القائد والباشا؟

اضاف يقول:

ـ المنزل ينقصه دائماً شيء، في غياب المرأة التي تمنحه الحياة. المرأة تشع بالحرارة وفرح العيش، وتغيّر الأمور السخيفة لمجرد حضورها. الرجال يتمتعون بطاقة خلاقة، لكن النساء هن اللواتي يوقدن الشعلة.

ران الصمت وبدا المنزل صامتاً. لا شك ان الخدم انسحبوا الى غرفهم واليس وحيدة كلياً مع صاحب المكان.

قالت بصوت قلق:

ـ الوقت متأخر. اعتقد انه من...

ـ هل تريدين النوم؟

صوته كان مليئاً بالشغف وشعرت اليس برغبة قوية في ان تنهض لتوها وتخرج من الباب هاربة الى غرفتها. لكن بامكانه ان يلتقطها بسرعة خاطفة. احتلها توتر غريب وقالت بصوت رشيق:

ـ نعم، انا متعبة. هل تسمح لي بالانسحاب؟ حرارة النار توحي لي بالنعاس.

ـ وتخشين ان اضمك بين ذراعي مثل طفلة نائمة وان استغل الموقف؟

غمزها بسخرية واضاف يقول:

ـ لكن هناك الثقة.

ـ ولماذا لا اكون قلقة وخائفة؟ انت جئت بي الى هنا بالقوة ولن

تحررني الا بعد ان تتحقق من اقوالي، اي بعد وصول جواب اختي.

ـ اذا كذبت عليّ يا اليسيا، فستدفعين ثمن ذلك غالياً... ربما تريدين كسب الوقت، آملة ان يأتي احد لنجدتك... لكن تأكدي ان ذلك مستحيل. لا احد رآني وانا احملك في مصعد الفندق، ثم الى سيارتي ولم يكن هناك انسان واحد في المرفأ عندما صعدنا الى الزورق.

ـ هل... هل ستحررني حقاً عندما يأتيك جواب اختي؟ انا لم اخترع القصص وانت تعرف ذلك، اليس كذلك؟

ـ آمل ذلك من اجلك. والاّ... هيا، تعالي. سأوصلك الى غرفتك.

نهضت ثم قالت:

ـ لا سبب لذلك، سأجدها بنفسي. ارجوك الا تعذب نفسك.

ـ هل تخافين من ان الحق بك؟ انا مصرّ ان اكون حسن الضيافة، وليس لائقاً ان اترك ضيفتي تصعد وحدها الى غرفتها.

ارتجفت اليس عندما لمست اصابع ستيفان ذراعها، وهو يقودها الى خارج الصالون. مصباح البهو كان مطفئاً، فقط المصابيح الجانبية تلقي بلمعانها الخافت على السلم.

وحين وصلا امام باب غرفة اليس، توقف ستيفان من دون ان يتركها، ثم قال:

ـ اتمنى لك ليلة سعيدة. آمل ان يكون سريرك دافئاً وعطراً كما اوصيت خادمتي بذلك. كما آمل الا تشعري بالوحدة كثيراً، يا اليسيا الصغيرة.

وللحظة قصيرة اشتبكت نظراتهما. الرغبة تشتعل في عيني اليوناني السوداوين. وشعرت اليس جيداً بأنه تكفي اشارة بسيطة من جانبها

كي يتبعها. فراح قلبها يخفق بقوة في صدرها. من السهل تخيّل ما يمكن ان يحصل فيما بعد... سيفك ستيفان شعرها المرفوع وسيغرق في بحر نظرتها الزرقاء الرمادية وسيتخيل انه يضم تمارا بين ذراعيه...

لا... تركت يده بحركة جافة وتقدمت من الباب وفتحته. ثم قالت بصوت لاهث:

ـ تصبح على خير.

ثم اغلقت الباب بعنف واستندت وراءه وقلبها يخفق بجنون وقدماها ترتجفان وخلف الباب سمعت انفاس ستيفان السريعة. المهم ان يرحل من هنا، يا الهي، المهم ان يرحل! بعد لحظات بدت لها ابدية، سمعته يبتعد عن الباب. فاطلقت زفرة مخنوقة وارتمت على السرير مدمرة. حياتها الوحيدة الخالية من الحب لم يسبق ان اعدتها لمثل هذا النوع من الوضع المعقد. البيرتا، لو كانت مكانها، لتصرفت حسبما تقدم لها الظروف. اما اليس، فجنّ جنونها...

ولسبب واضح ومعين: لأنها رأت فجأة في عيني ستيفان شعوراً بالضيق ونوعاً من الاستغاثة، اوشكت لثانية ان تضمه في ذراعيها كأم تؤاسي ابنها، ناسية ان جلادها يريد فقط ان ينتقم منها.

يا الهي، ماذا جرى لها؟ ما هذا الانجذاب الحسّي الذي كاد ان يرميها بين ذراعي خاطفها؟ تجتاحها الآن عاصفة من الانفعالات المعاكسة التي تنبع من دمها لتنصبّ في عروقها وكل انحاء جسمها الملتهب. نزعت الدبابيس من شعرها وتركته ينسدل فوق كتفيها. لم يسبق ان رأت من قبل رجلا تنبع منه رجولة قوية هكذا. اين تلك الفتاة الصغيرة الطاهرة التي ترعرعت في ضباب انكلترا؟ من هي تلك السجينة الوحيدة، ضحية انفعالات لا تجرؤ على وصفها؟ هل

هذا حلم ستستيقظ منه قريباً؟ لا، كل ما يجري حولها حقيقة واقعية، للأسف! البحر الذي تضرب امواجه شاطىء سوليتاريا، وغرفتها المضاءة الناعسة، وسريرها العطر والدافىء، والايقونة المعلقة امامها على الحائط... كلها حقيقة وليست حلماً... وهذا الرجل اليوناني، الشيطاني، هو حقيقي.

لقد لمست اصابعه ذراعيها وايقظت فيها مشاعر ابعدتها عن حياتها الصغيرة الرتيبة والباهتة.

ما زالت تسمع صوته التهديدي: «اذا كذبت عليّ، يا اليسيا، ستدفعين ثمن ذلك غالياً». هل تتمنى حقيقة ان يكون ردّ البيرتا دافعاً ليحررها من مخالب جلادها ويعيدها الى شقتها الصغيرة التي لا يدخلها غير عامل الكهرباء والغاز والسمكري؟

لماذا صفعت الباب بحدة بوجه ستيفان؟ هل هذه طريقة غير مباشرة لانكار رغباتها السرية وللاحتماء من هذا الرجل الذي دخل حياتها بقوة العاصفة المكتسحة المخرّبة؟ الآن هل ستمضي الليل كله تعذّب عقلها في التفكير بما حصل من تغيير فيها. لا، عليها ان تستعيد صوابها والاّ تدع نفسها تنسحر بهذا الجو الغريب في هذا الدير المهجور حيث الجسم والروح ينبضان بمعركة ضارية.

خلعت ملابسها وارتدت بيجامتها الحريرية. وبينما كانت تغسل وجهها في الحمام سمعت باب غرفتها يفتح. تناولت منشفة ومسحت وجهها ودخلت الى غرفتها بقلق مخيف. وما ان رأت ستيفان حتى جمدت مكانها مذعورة.

ارادت ان تصرخ بوجهه وتقول: «اذهب عني» لكن الصوت لم يخرج من حنجرتها المعقودة. نظر ستيفان الى بشرتها الناعمة والنحيلة تحت الحرير البرتقالي فارتعشت اليس واستعادت صوتها وقالت

بخوف كبير:

ـ ماذا تريد؟ ماذا تفعل هنا؟

ـ لقد طرقت الباب، لكنك لم تسمعيني. جلبت لك شراباً ساخناً مهدئاً الظاهر انك بحاجة اليه.

نظرت اليس الى الفنجان بذعر كأنه يحتوي على سمّ قويّ وقالت:

ـ لا اريد شيئاً. انا هادئة تماماً عندما لا تكون قربي.

ـ آه، آه، هل اوترك، يا اليسيا، الى هذه الدرجة؟

كان قد خلع سترته وربطة عنقه، وفتح ازرار قميصه حتى الخصر. رجعت بسرعة الى الوراء نحو الحائط حيث علقت الايقونة. فقال لها:

ـ لا تخافة ارجوك. هذا الشراب ليس فيه أيّ خطر على صحتك.

ـ كيف تريدني ان اثق بانسان يحجزني في جزيرته اللعينة؟

ـ عظيم. دعيني ابرهن لك بأن هذا الشراب ليس خطراً على صحتك.

وضع الفنجان على فمه واخذ منه جرعة كبيرة ثم قال:

ـ سأضعه الآن على الطاولة قرب سريرك.

نظرت اليه وهو يلقي نظرة على سريرها المفتوح وراح قلبها ينبض بجنون واذنيها تطنطنان. ثم نظر اليها والى شعرها المشعث وبيجامتها الشفافة. الاضاءة الخافتة توحي بالألفة المضطربة. وبذعر رجعت الى الوراء، فابتسم وقال:

ـ هل تتصورين بأنني اخاف منك؟

ـ آمل الا تصل الى درجة الاغتصاب.

ـ هل يكون ذلك اغتصاباً، يا اليسيا؟ الا تشعرين بالتعطش

للحب، ايتها الفتاة الصغيرة الوحيدة؟ الا تحلمين في الذوبان بين يدي رجل؟ لن اؤذيك، يا ايتها الناعمة، لكنني استطيع ان ارجفك من الفرح.

ـ اذهب من هنا ودعني وشأني وكف عن شتمي.

ـ كنت اعتقد انني امدحك. الم ترددي على مسمعي مراراً بان الرجال لم يلتفتوا ابداً بك وانت مخبأة وراء كعكة شعرك ونظارتيك وملابسك المحتشمة!

وببطء متوتر داعبها بنظراته واضاف يقول:

ـ ربما لست جميلة بالمعنى الكلاسيكي للكلمة، لكنك تتمتعين بجاذبية سرية تذكرني بالازهار الغريبة التي تحرسها الفراشات.

ـ انا لا افهم ما تقوله...

ـ لا، يا عزيزتي اليسيا، لا تدعيني اجد نفسي مضطراً لوضع النقاط على الحروف. انت في سنّ الرابعة والعشرين ولا اقدر ان افهم سذاجتك او تواضعك السخيف او تمثيليتك. انت تعرفين، وانا اكيد من ذلك، بان الممثلين اليونانيين يرتدون الاقنعة؟

ـ اليس كل واحد منا يرتدي قناعاً؟ لمجرد الحذر والريبة...

لم يردّ انما نظر حوله ليرى تنورتها المرماة على ظهر الكرسي والجوارب على البساط قرب الحذاء. وعلى منضدة الزينة حيث تناثرت مساحيق الجمال وفرشاة شعرها.

اقترب من منضدة الزينة وتناول فرشاة الشعر ورأى اسمها محفوراً عليها فقال:

ـ اتذكر فتاة كانت تسرّح شعرها الكستنائي تحت الفرشاة الى ان ينسدل كالحرير على كتفيها.

رفع نظره وحدق بأليس، الجامدة والمرتابة. الى اين يريد

الوصول؟

ـ انك تشبهينها ببعض الملامح. لكنها كانت فتاة منفتحة، عفوية وصادقة...

ـ انا... انا اكيدة انني لا اشبه ابداً الفتاة التي احببتها! لا شك ان خطيبتك كانت يونانية مئة في المئة. اما انا، فانني عانس انكليزية محض...

هزّ رأسه وقال:

ـ كلا.

اقترب منها خطوة وغريزياً رجعت الى الوراء فقال:

ـ ... بقميص ذي اكمام واسعة، وتنورة محزمة وشعر منسدل...

صرخت بقوة:

ـ لا! انا لست تمارا! دعني وشأني... انا اليس شيلدون ولست واحدة اخرى! لا تطلب مني ان ابعث شبحاً... دعني وشأني والاّ اصرخ!

فقدت السيطرة على نفسها وظلت ترجع الى الوراء حتى تعثرت بكرسي صغير وسقطت على الارض محدثة ضجة مخنوقة.

وفي الحال ركع ستيفان قربها وحملها واضعاً رأسها على كتفه وراح ينظر اليها بقلق. كانت غائبة عن وعيها، فقال لها:

ـ لقد اذيت نفسك ايتها الحمقاء الصغيرة؟

وبصوت مرتجف ومتقطع قالت:

ـ لقد.. لقد اخفتني. تصوّرت انك تمدّ يدك اليها... الى تمارا. اعرف انك حزين لفقدانها، لكن ما ذنبي انا، فأنا لا استطيع بعثها من اجلك. لا يمكنني الا ان اكون نفسي انا...

www.elromancia.com

ـ ان تكوني اليس شيلدون، اليس كذلك؟

بنعومة راح يدلك الكتف التي سقطت عليه. كانت يده ساخنة وقوية على بشرتها. وهي تشعر بين يدي ستيفان بأنها امرأة مليئة حرارة وحياة... وضعها على السرير وانحنى فوقها واضعاً اصابعه في شعرها ومحدقاً مطولا في وجهها القلق.

واجتاحتها رغبة قوية في ان تضع ذراعيها حول عنقه وتضمه اليها. يا الهي، اصبحت حقاً مجنونة!... لا تريد ان تتصرف مثل البيرتا التي ما عرفت في حياتها الفرق بين الرغبة والحب...

تراجعت قليلا فنهض في الحال ونظر اليها وسألها في حيرة:

ـ من انت، يا اليسيا؟ تريدين الزواج قبل اي شيء، اليس كذلك؟

وقبل ان يتسنى لها ان ترد عليه، ادار ظهره وفتح الباب بعنف، تردد لحظة على العتبة ثم اختفى من دون كلمة صافعاً الباب وراءه.

ظلّت لحظة ممددة على سريرها، وانفاسها السريعة تخفق في قلبها. ما هذا التلميح للزواج الذي صدر من فم ستيفان؟ هل وحدته مريرة الى درجة انه يفكر بزواج مصلحة؟

الزواج من ستيفان كسندر وس! بدأت هذه الفكرة تأخذ طريقها ببطء الى عقلها. فجأة نهضت وجرعت الشراب العطر بنهم. ثم وضعته من جديد على الطاولة. وهناك لاحظت كتاباً، فتحته. كان عنوانه «الحريم» لبورتون.

راحت تقلب صفحاته ببطء والدم يرتفع الى وجهها وهي ترى الصور في داخله. انها رائعة وغزلية حتى المجون.

وبحركة جافة اغلقت الكتاب ووضعته على الطاولة. ثم تمددت في سريرها وقلبها ينبض بانفعال رهيب. تنهدت بعمق وهي نصف نائمة وتخيّلت نفسها من جديد بين ذراعي ستيفان واستسلمت لمخيلتها هذه المرّة بسهولة وحذر...

www.elromancia.com

٧ - أليس ترتدي بزة السباحة وتنزل في البحيرة متجهة نحو المركب. . . هناك يحاول ستيفان اغواءها من جديد. . . وفي طريق العودة سباحة يتبعهما تمساح كاد ان يقضم ستيفان. . . ولو كانت وحدها لما نجت!

شعور غريب ان يستيقظ الانسان في سرير مجهول. انتفضت أليس ونهضت بعصبية، عاقدة اليدين على الشراشف ومحدقة بالايقونة التي تضيئها أشعة الشمس. كم هي بعيدة عن شقتها العارية المغلفة، جدراناً وأرضاً، باللون البيج الباهت!

قفزت من السرير وارتدت مئزراً خفيفاً وخرجت الى الشرفة لتتنشق هواء الصباح المنعش. فرأت ستيفان واضعاً على كتفه منشفة ويتحدث مع رجل عجوز حاملا المجزر الذي يقطع العشب. وبعد قليل اختفى ستيفان وراء قنطرة، ربما لأخذ حمام صباحي.

تمسكت بشدة بدرابزين الشرفة وتساءلت: لماذا لم يقترح عليها مرافقته؟ كان الصباح رائعاً والضوء خافتاً بعض الشيء، وراء

سحابة خفيفة آتية من البحر. في الحدائق، المليئة باشجار البرتقال والحامض والاكاسيا والزعرور والياسمين، تزقزق العصافير بقوة. ووراء اشجار الصنوبر التي يلاعبها النسيم الخفيف، كانت ترى زرقة البحر الزمردية.

يا الهي، كم هذا مثير وشديد الاغراء! لم لا؟ لقد قال لها ستيفان ان تعتبر نفسها ضيفته. وهي تحب السباحة وليست مثل البيرتا، تذهب الى البحر، فقط من اجل عرض بزتها الجديدة. . .

ارتدت بسرعة بزة السباحة البيضاء وانتعلت صندلا ملوناً. لم تجرؤ على اخذ المصعد وحدها، فنزلت من التلة، في الطريق الصخري واضعة منشفة زرقاء على كتفيها. توقفت لحظة على الساحل وعبرت بها رائحة الصنوبر. الامواج ترتطم بالصخور فيتطاير الزبد الكثيف.

لم تنس اليس تحذيرات ستيفان حول وجود التماسيح في البحر. لكنها ستسبح هي بحذر ومن دون خوف. الم يكتب اوسكار وايلد مرّة ان الخوف فلفل الوجود؟

الخوف من التماسيح. . . ومن يوناني شرير. . . كل ذلك جعل قلب اليس يخفق بسرعة جنونية. . . وما ان وصلت الى الشاطىء حتى رمت بمنشفتها على اغصان شجرة التمر الهندي وخلعت حذاءها وركضت نحو الساحل. دخلت في الماء الفاتر بلذة كبيرة وتركت نفسها تتأرجح داخل الامواج، ثم غطست وسبحت في عرض البحر باتجاه الزورق الراسي على بعد بضعة مئات امتار من هنا.

يا لهذا الهدوء الرائع، وهذه النعومة وهذا السكون!

حاولت جاهدة ان تفرغ رأسها من كل الهواجس والاوهام وتستمتع بعذوبة الهواء وروعة المياه، لكنها لم تحفل. كانت ترى من

جديد حياتها الرتيبة في لندن، حيث العمل كثير والتسليات نادرة. ثم تذكرت حادثة خطفها الى هذه الجزيرة النائية، على يدي يوناني عديم الذمة... من المستحيل ان تطرد من رأسها مشهد مساء امس... لا شك ان ستيفان سخر منها عندما حدثها عن الزواج... هل فقد عقله؟ لمجرد التأكد من الشبه الغريب بينها وبين خطيبته الراحلة؟

ظلت تسبح والافكار تطاردها من تحت المياه العذبة. فجأة انتفضت لادراكها المسافة القليلة التي تبعدها عن الزورق. قررت العودة الى الشاطىء، لكن فات الاوان، اذ سمعت صوتاً يقول:

ـ اياك من الزورق!

مسحت عينيها ورأت ستيفان مستنداً على درابزين السفينة. اضاف يقول:

ـ ها، ها، هل جئت للقاء الذئب الكبير الشرير؟

هزت رأسها سلباً، فاكتفى بالضحك ثم رمى في الماء سلماً من الحبال. ترددت وهي تسبح فقال:

ـ هيّا، اسرعي والا ستجذبين التماسيح!

اطاعته وصعدت الى السلم، فرافقها الى سطح الزورق. وفي ابتسامة ساخرة لف ذراعيه حول خصرها وضمها اليه وقال:

ـ لو عرفت انك تحبين النهوض باكراً لاقترحت عليك ان ترافقيني. هل نمت جيداً؟

قالت بصوت بارد ومتوتر:

ـ جيد جداً، شكراً.

ـ هل تمكنت من النوم بسرعة؟ من الصعب احياناً النوم بسهولة في سرير جديد. هل تقلبت كثيراً في فراشك؟

ـ كلا، ابداً.

كانت تعرف جيداً ان اهتمامه لم يكن الا ظاهرياً. ثم اضافت تقول:

ـ كنت مرهقة. وما ان وضعت رأسي على الوسادة حتى نمت كالقتيلة.

رفع حاجبه بسخرية وقال:

ـ كنت اتصوّر بأنك من النساء اللواتي يقرأن قبل الذهاب الى عالم الاحلام.

ـ لكن هذا غير وارد عندما اكون متعبة.

لا تريد ان تصرّح له انها رأت الكتاب الموضوع على الطاولة قرب سريرها. قالت:

ـ عندما لا اتوصل الى النوم، اقرأ قصة بوليسية.

ـ كنت اتصوّر بأن النساء يحببن قراءة القصص العاطفية، اي قصص الحب والنهاية السعيدة؟

ـ بالنسبة الى فتاة عانس، الكتب البوليسية تمنحها هرباً وتخلصاً غير سيء. الحب الابدي في ديكور ساحر... وقصص الحب... والحب الكبير، امور لا أؤمن بها...

ضمها اليه بشدة وقال:

ـ اشعر برغبة في ان ابرهن لك عكس ما تقولين، واجعلك تصرّحين لي بأنك قلبت صفحات هذا الكتاب...

احمرّت بعنف وقالت:

ـ انا... الا تخجل من اقتناء كتاب كهذا، ثم وضعه في متناول الجميع!

ـ لا يوجد في هذا المنزل اولاد، يا اليسيا... اي في الوقت الحاضر. لا يوجد هنا الا رجل... وفتاة ناضجة، في الرابعة

www.elromancia.com

والعشرين من عمرها. حان لك ان تتعلمي الا تخجلي من اشياء الحياة، يا ايتها الطاهرة الصغيرة... تحبين ان تدعي البحر يداعبك... اذن لماذا لا تسمحين لي ان افعل كالبحر؟

ـ انت تعرف كيف تسخر مني، اليس كذلك؟ اتركني، ارجوك.

ـ لماذا جئت الى الزورق، اذا لم يكن في نيّتك ان تكوني وحدك معي؟

لم ترد، فأضاف يقول من دون ان يبعدها عنه:

ـ هل جئت الى هنا لاقناع الطاهي ان يعيدك الى اثينا؟ وماذا ستقدمين له تجاه هذه الخدمة؟ هذا الجسم الجميل النحيل الذي يرتجف تحت اصابعي؟

قالت بذعر:

ـ كيف تجرؤ على قول هذا الكلام البذيء؟ هل تتصور لحظة بأنني سأتزوج من رجل كريه مثلك!

ابعدها عنه فجأة. فأحست بارتجاف في قدميها، وكادت ان تسقط لكنها تمسكت بالدرابزين، لا تجرؤ على النظر اليه. فقال بصوت هادىء:

ـ هل اهنتك، اذ رغبت في الزواج منك؟

كان متوتراً وغاضباً وهو ينظر الى المياه الجامدة. فقالت:

ـ لا شك انني فتاة غير عصرية وذات نظرية قديمة، لكنني اؤمن بالحب وبالحب المتبادل.

ـ وتخافين الانطلاق في المجهول؟

بلعت ريقها وقالت:

ـ طبعاً.

فقال ساخراً:

ـ هيّا، لا تتذرعي بالبراءة. فالجواب على البرقية سيوضح لي في ما اذا كنت تمثلين عليّ ام لا. في كل حال، ايقظت فيّ مشاعر كنت احاول جاهداً خنقها. انت تعيشين في انكلترا حياة ضيقة ومن دون فائدة. اذن لماذا لا اطلب منك ان تحبيني حتى العبادة. لكنني اريد منك الاخلاص. بالنسبة الى اليونانيين، الزواج شيء مقدس.

كانت نبرة صوته جافة وخالية من ايّ حرارة او حنان. انه يقترح عليها صفقة بسيطة. حدّقت اليس فيه بنظرة ضائعة. هذا الرجل لا يحبها ولن يحبها. لا يرغب الا بشيء واحد وهو ان يجد بين ذراعي اليس قليلا من تمارا، المرأة التي احبها من كل اعماقه.

شعرت فجأة برغبة ملحة في التخلص منه والهرب. فلن تدعه يقنعها بأن الانجذاب الخارجي بامكانه ان يحلّ مكان الحب القوي الذي حلمت به كل حياتها. صحيح ان اليس تشعر بوحدة غريبة، لكن ذلك ليس سبباً لتقبل عرضه الغريب والخطر.

ومن دون تردد غطست في البحر وابتعدت عن الزورق كأن الشيطان يلاحقها. بعد ثوان سمعته يتبعها. كانت اليس سبّاحة ماهرة، لكن ستيفان رياضي كبير.

بعد قليل اقترب منها فصرخت بأعلى صوتها.

ـ لا تحاول ايقافي!

ـ هذا ما لا انوي فعله.

اكملا السباحة بعزم. وعلى بعد ٤٠٠ متر من الساحل، لاحظت اليس انه يبطىء وهو يسبح وراءها. وفجأة امرها بصوت هادىء:

ـ والآن اسبحي بسرعة قدر المستطاع ولا تخافي. تصوّري انك في صدد الحصول على ميدالية ذهبية!

القت نظرة خاطفة اليه للاستفهام وفهمت انه لا سبب في ان

تسأله لماذا طلب منها الاسراع، لأنها رأت على بعد امتار وراءهما زعانف تمساح. فاحتلها الخوف وشلت لحظة. فانتبه ستيفان لحالها. فاقترب منها وهزّها قائلا بصوت ملح:

ـ اسرعي. لكن بنعومة. انا سأتبعك.

كان ستيفان يتبعها وقدماه الطويلتان معرضتان لفم التمساح الذي وراءهما. بحياتها لم تر اليس انساناً يتصرّف بشجاعة مترفعة دون مبالاة بحياته كانت تبكي بعصبية وهي تسبح بكل قواها. كلما اسرعت، كلما كان ذلك افضل لستيفان الذي كان يحميها من التمساح، مجازفاً بحياته. يا الهي شرط ان يصلا الى الساحل قبل ان تنغلق اسنان الحيوان على قدمي ستيفان.

صرخ ستيفان قائلا:

ـ تحلي بالشجاعة بضعة امتار وننجو.

ولما خرجت اليس من الماء كانت فاقدة الانفاس. ارتمت على الرمال وهي تنتفض ارتعاشاً. في الهواء الساخن كل شيء يبدو خانقاً. ولما استعادت انفاسها رفعت عينيها نحو مخلصها الواقف قربها بشعره المبلل الذي يقطر على وجهه والشمس تلمع على كتفيه العريضتين المبللتين.

قال وهو ينظر اليها:

ـ السماء كانت معنا. ربما هذا التمساح لم يكن حقاً جائعاً. لكن هذا السباق يستحق مدالية.

اشتبكت نظراتهما وبحركة سريعة اوقفها وضمها بشدة اليه وراح يعانقها وهي تعانقه بشغف، وهذا ما يحصل لها لأول مرّة. ثم دفعها فجأة وقال:

ـ الخطر بامكانه ان يحرر المرأة من الغرائز المكبوتة. حافظي على

فضيلتك يا اليسيا الصغيرة. لن استغل اي لحظة ضعف تأتي منك.

باضطراب نظرت اليه مطولا. ثم ازاحت نظرها خوفاً من ان يقرأ داخل افكارها. فقالت له بصوت متقطع:

ـ تسبح جيداً كالابطال. كان باستطاعتك وبسهولة ان تتركني ولا احد يعرف ما جرى حتى ولو ابتلعني التمساح.

ـ لا احد، بالفعل. لندخل الآن الى المنزل ونأخذ دوشاً ونتناول الفطور. تعالي.

تقدمته وحين وصلت قرب شجرة التمر الهندي، تناولت اليس منشفتها ومدتها اليه كي يلف جسمه. فقال بجفاف:

ـ شكراً. هل بادرتك للحشمة او عناية بي؟

ـ انت تعرف جيداً ولا سبب للسخرية. اعتقد بانني لا اتصنّع الحياء.

ـ آمل ذلك، يا اليسيا، من اجلك انت.

ادخلها الى غرفة المصعد وهي ترتجف من لمسته.

ـ لا تنظري الى نفسك بخفة، يا اليسيا، بحجة ان اختك جميلة وتلفت الرجال. الجمال الحقيقي عند المرأة هو القدرة على الحس بالأشياء بعمق.

ـ نعم، الجمال ليس كل شيء.

راح يداعب عنقها ويهمس قائلا:

ـ حسب رأيك، ماذا يطلب الرجل من المرأة؟

ـ ان تكون مبهجة ومتفتحة وقابلة للتأثر لمديحه.

ـ ارى انك فكرت جيداً بالسؤال!

ـ لو لم يكن لديك سبباً وجيهاً للتعرف الى اليس شيلدون لما لفتت نظرك فتاة مثلي باهتة نزلت في فندقك.

www.elromancia.com

امسكها بخصرها وهزها وقال:

ـ لكن المرأة ليست قبيحة الا عندما تكتم عواطفها وتخبئها كالمجوهرات النادرة! لقد اسدلت شعرك، ذلك المساء وخلعت نظارتيك. لأي سبب؟ هل فعلت ذلك لمعرفة ردة فعل الخادم الذي يدخل الى غرفتك؟

ـ كلا!

ـ كذبة بسيطة! لقد استحميت وتعطرت وارتديت ثوباً خفيفاً شفافاً. هل فوجئت لدهشتي؟

كنت تريدين ذلك. كنت تريدين تجربة اسلحتك. اعترفي بالأمر!

ـ ما تقوله خطأ. لقد اشتريت هذه الملابس الجميلة وشعرت برغبة في ارتدائها.

ـ لتشعلي قلوب الخدام، وفي غرفتك ايضاً! آه، انه خبث المرأة التي تتصرف في الظاهر كأنها محاطة بحاجز مكهرب.

هذه القسوة الرهيبة جرحتها عميقاً. وعبر ظلّ حزين في عينيها البحريتين. فارتعشت لا ارادياً. فابتعد عنها وفتح باب المصعد.

ولما دخلا البهو التقيا بكاترينا التي لم تخف دهشتها لرؤية ستيفان لافاً جسمه بمنشفة. فقال لها ببساطة:

ـ كنا نسبح. ستأخذ الآنسة شيلدون فطورها في غرفتها. فاجلبي لها شيئاً مريحاً وقهوة ساخنة. لا شك انها جائعة لشدة الانفعال. لقد التقت للمرّة الثانية في حياتها بتمساح. ولحسن الحظ ان هذا التمساح لم يكن راغباً في قضم شيء باسنانه...

حبست اليس انفاسها ورمقها بنظرة غامضة قائلا:

ـ اصعدي الى غرفتك وخذي حماماً ساخناً واسترخي. سأراك

بعد ساعة وآخذك في زيارة في ارجاء المكان.

ـ جيد جداً... وشكراً.

ـ يا اليسيا، انت لا تعرفين مقاومة انفعالاتك. لو قررت البقاء على متن الزورق، لسبحت باتجاه التمساح دون ان تريه، انت ضعيفة النظر، لا تنسي...

كانت اليس متوترة ولا ترغب في مناقشته. فصعدت الى غرفتها وقدماها ترتجفان. لكنها شعرت بفرح لهدوء غرفتها... وهدوء افكارها...

استحمت وهي تدير تقلب رأسها المشكلة التي لا حلّ لها. فجأة ادركت امراً مهماً. لماذا رمت حالها خارج الزورق لو لم تكن تشعر بأن مقاومتها بدأت تضعف. هذا الرجل اليوناني ايقظ فيها عالماً واسعاً من الاحاسيس التي كانت تجهلها.

ومرّة اخرى تساءلت اليس فيما اذا كان سيسمح لها ستيفان بالذهاب متى جاء رد البيرتا مؤكداً انها لم تكن ابداً خطيبة ايونيدس دمسكينوس.

ارتدت فستاناً خفيفاً من القطن المقلم بالأخضر والابيض ورفعت شعرها لئلا تشعر بالحرّ. ثم جلست على الشرفة بانتظار فطورها. وبعد دقائق دخلت هيلدا حاملة صينية الطعام. في عيني الخادمة فضول واضح. لا شك ان خالتها اخبرتها بأن رب المنزل عاد من الشاطىء برداء خفيف، هذا يعني ان بينه وبين الفتاة صداقة حميمة...

سألتها هيلدا وهي تسكب لها القهوة الساخنة:

ـ آمل الا يكون التمساح قد اخافك كثيراً، يا آنسة.

جلست اليس امام الخبز المحمص والعجة المعطرة وقالت:

ـ لحسن الحظ، لم اكن وحدي عندما ظهر التمساح فجأة. والا لشعرت بالذعر ولفت انتباه هذا الحيوان الكريه. كان عليّ ان احافظ على برودة اعصابي والا اضطر السيد كسندريوس ان يصرعني بضربة على رأسي.

ـ بدأت تفهمين رجال بلادي.

ـ هل تعني بذلك ان على النساء الانحناء امام الرجال؟

ـ في الحقيقة، لا ترغب النساء الا ذلك. لماذا لا نترك للرجال حرية ادارتنا؟ انهم الاقوى. لكن دور المرأة ليس اقل اهمية. بل هو مختلف وحسب الطبيعة تعرف ما تصنعه.

ابتسمت اليس وقالت:

ـ في كلامك حكمة كبيرة. لكن ليس على المرأة الخضوع للرجل كلياً. فهي متساوية معه وليست عبدته.

ـ على المرأة ان تشعر الرجل بأنها سعيدة في الارتكاز عليه، يا آنسة.

اجابت اليس بزفرة صغيرة:

ـ لم يحدث لي ذلك ابداً. هل انت مغرمة، يا هيلدا؟

ـ نعم. انا مخطوبة.

لمعت عينا الخادمة اليونانية واضافت:

ـ كان عمري ١٥ سنة عندما تواعدنا على الزواج. الياس يعمل في الخارج. سنتزوج عندما نحصل على المال الكافي لبناء منزلنا.

ـ هل انت مشتاقة اليه.

ـ آه، كثيراً، يا آنسة. البعد قسوة. لكننا مصران على بناء منزلنا قبل البدء في تأسيس عائلة. نحب بعضنا ونفضل ان ننتظر ان ينضج التين قبل قطفه... فيصبح حلواً اكثر.

بعد ذهاب هيلدا فكرت اليس بموضوع الحديث الخاطف بصدق وبالحاح. نعم، الطبيعة تعرف ما تصنعه. كانت اليس معجبة بالجمال، ولذلك كانت تستمتع بكل احاسيسها بعظمة الجزيرة ونقاوة الهواء البحري وحفيف النسيم في الصنوبر، وبارتجاج الضوء على الازهار الغامقة.

وكل هذا الجمال الساحر... لأي سبب؟ ولمن؟ بالنسبة الى ستيفان التين ما زال اخضر وتمارا ماتت. ولم يعد قادراً على العيش وحيداً... مثل اي انسان يريد الزواج وانجاب البنين... لكن، بالنسبة اليه، الحب غير وارد. استرخت اليس في مقعدها وفي ذهنها تدور الحوادث التي جرت في الصباح. ما زالت ترى كيف عرض عليها ستيفان الزواج... الصفقة...

هل يأمل حقاً في اقناعها؟ ومن جهتها هل ستتمسك كل حياتها بالحلم الذي يتوق الى حب قوي؟ منزل كهذا... وزوج كستيفان كسندروس... وجزيرة نائية هادئة... امور تدعو الى التفكير. وماذا اذا كان لا يحبها؟ وهذا لن يمنعه من انجاب البنين. فكرت بعناقه، فاجتاحتها رعشة حلوة، عبرت في كل انحاء كيانها.

لكن هل بامكانها ان تحتمل وجود ظلّ تمارا في هذا المنزل كتهديد مستمرّ؟ لن تحصل على قلب ستيفان ابداً.

كلا، هذا الزواج غير وارد. وعليها، حتى ان تنتهي اقامتها في الجزيرة، المقاومة قدر المستطاع ضد الانجذاب الذي تشعر به تجاه ستيفان. لا شك بأن حياة وحيدة موحشة بانتظارها. لكن ذلك افضل بكثير من تقمص شخصية فتاة ميتة.

راحت تذرع الشرفة بخطوات عصبية. ما دام لا يحبها، فلن تتزوجه. ستعود الى لندن وهو لن يتأخر في ايجاد فتاة من جنسه، فتاة

www.elromancia.com

بسيطة وغير متطلبة.

اسندت ظهرها الى الدرابزين مانحة وجهها للشمس. كل كيانها يتوق الى حب قوي متبادل ولن تهمل ابداً حلمها.

٨ - بين الطقس الصافي والعاصفة وجبة عشاء كشف خلالها احد أبناء عم ستيفان حقيقة مؤذية حول تمارا. وكانت أليس تشعر طوال الوقت انه تلقى الرد من شقيقتها لكنه يكتمه...

الطقس صاف ولا ريح في الافق. رائحة الصنوبر الزكية تعبق في الجو الحار والسماء تتوهج فوق الصخور المحززة. النوارس تحوم فوق الماء مطلقة اصواتها الحادة.

ويوماً بعد يوم يزداد تأثر أليس بهذا المنظر الرائع وحماسها لهذا الجمال الخارق. فلا تمل لحظة من تنشق رائحة الازهار العطرة التي تفوح من شجر الليمون والزيتون والصنوبر.

وخلال اسبوع تمكنت اليس من اكتشاف ابعاد واعماق هذا الدير القديم: بيوت المؤن في السقفيات، الزوايا الغريبة والسلالم التي تصل بالشرفات الصغيرة تطل على البحر بمناظره الخلابة المتنوعة، اما خزائن المطبخ الشاسع، المبنية من البلاط الأحمر الغامق فكانت مليئة

www.elromancia.com

بمحتويات ومنتوجات الجزيرة: زجاجات الشراب والمربى والأوعية الزجاجية التي تحتوي على الفاكهة المجففة والخضرة على انواعها.

كما كانت أليس تعشق ايضاً التنزه في الحدائق المحاطة بالجدران الصغيرة المتصدعة وفي المروج مزيج من الألوان: زهر اللوز الأبيض، وزهر الرمان الأحمر والفستق الوردي... وتحت الحجارة والحصى تنبت الأزهار والنباتات التي تتراوح الوانها من الزهر العاجي الى الازرق الغامق مروراً بالأحمر الغامق والبرتقالي الناري.

في هذه الجنة الغريبة يتوصل الانسان الى الايمان بالاساطير الخرافية. الم تظهر افروديت من الأمواج والزبد لا ترتدي سوى شعر ذهبي؟

خرجت أليس الى الشرفة ورفعت نظرها نحو السماء المخططة بالأحمر الاقحواني. كانت شمس المغيب مصبوغة بالأحمر وتنعكس على ثوبها الحريري الأخضر المخرم. في الجو الثقيل تفوح رائحة الصنوبر والطحالب البحرية. ارتعشت لرؤية السماء التي تنذر بعاصفة. فهي قلقة ربما لأن الزورق ابحر اليوم لاستلام الرد على البرقية التي ارسلها ستيفان قبل ايام معدودة. فسيعرف عما قريب اسم خطيبة دمسكينوس الحقيقي وسيضطر للسماح لها بالرحيل.

فجأة ارعدت السماء معلنة بدء العاصفة. السماء والبحر اخذا لوناً واحداً وهو الأحمر البرتقالي. الشمس اختفت وراء الغيوم السوداء الكثيفة. تهيأ لأليس ان الأرض ترتجف تحت قدميها... ام هي ترتجف لمجرد التفكير بما سيكلمها به ستيفان بعد ان يستلم برقية البيرتا؟

فجأة، انتفضت مذعورة لرؤية البرق يلمع في السماء المشتعلة. دخلت الى غرفتها مسرعة واغلقت النوافذ والستائر. نعم العاصفة

آتية ادركت أليس سبب توترها. ففي الجزيرة لا يشعر الانسان بمأمن من الخطر. قررت التوجه الى قاعة الاستقبال. في المدفأة يشتعل باستمرار حطب الحور العطر. ربما تشعر هناك بالدفء والاستقرار.

وقفت جامدة مكانها فجأة في منتصف السلالم، اذ رأت الثريا النحاسية تتأرجح فوق رأسها كجرس صامت ضخم. امسكت طرف تنورتها الطويلة وهبطت السلالم الباقية كأن حيواناً مفترساً يتبعها.

وصلت الى الطابق الأرضي لاهثة، فاقدة انفاسها.

واذا بها تسمع صوتاً. فظهر ستيفان في الحال من الباب المقنطر. لم يكن وحده، بل يرافقه احد ابناء عمه ويدعى الكسندر كسندروس، المسؤول عن المحاسبة في سلسلة الفنادق التي يملكها ويديرها ستيفان نفسه.

جمد الرجلان لدى رؤية أليس في هذه الحال من ضيق النفس. فقالت بصوت لاهث:

- انظر، انظر ما يحدث.

وباصبعها كانت تشير الى السلم. لكنها لم تصدق ما رأت، كانت الثريا جامدة كجمود الحجر. هل كانت تهلوس؟

سألها ستيفان:

- عماذا تتحدثين؟

- رأيت الثريا تتأرجح بشكل يدعو الى القلق و... و... وتصورت ان هزة ارضية وقعت.

تقدم الكسندر بضع خطوات ورفع عينيه ثم التفت بأليس بابتسامة لطيفة وساخرة وقال:

- لا شك ان ذلك من صنع مخيلتك. كنت اقول دائماً لستيفان ان

هذا المنزل، في الليل، يعطي انطباعاً بانه مسكون. وذات مساء رأيت في الممر ظل راهب يلحق بي!

عضت أليس على شفتيها ورمقت ستيفان بنظرة سريعة. ولما رأت فمه المشدود وعينيه القاسيتين، فضلت عدم الاصرار وقالت:

ـ هناك على الأقل عاصفة، أليس كذلك؟ ولا يمكنني ان اكون مخطئة هنا. غياب الشمس كان منظراً رائعاً. رأيت البرق وسمعت الرعد.

وافق معها الكسندر اذ قال:

ـ نعم، السماء مشتعلة.

قال ستيفان وهو يحدق بأليس:

ـ ربما يكون نهار غد يوماً لن ننساه.

راح قلب الفتاة يخفق بضربات سريعة. وتأكد لها ان ستيفان حصل على رد البيرتا، الذي لا شك يؤكد اقوالها. مظهر ستيفان القاسي لا يمكن ان يعني سوى شيء واحد: خاب امله من تحقيق الثأر وسيضطر ان يفي بوعده ويطلق سراحها.

اقترح ستيفان وهو يتوجه نحو الصالون قائلاً:

ـ لنأخذ شراباً الآن.

ولما دخلت أليس امامه الى قاعة الاستقبال راح ينظر اليها بتفصيل ثم قال:

ـ انت رائعة هذا المساء، يا أليسيا... ومن يراك يعتقد انك ارتديت هذه الملابس الانيقة للاحتفال بشيء كبير...

رمقته أليس بنظرة سريعة. ما باله هذا المساء؟ لماذا هذه النظرة التهديدية؟ عليها الحذر.

ابتسم الكسندر وقال:

ـ هل المرأة بحاجة لحجة او لسبب كي تبدو بمظهر جميل؟ لو لم تتمتع المرأة بشيء من النرجسية، لكانت حياتنا تافهة، نحن الرجال. لا تدع جو الدير يؤثر بك حتى العدوى، يا ستيفان!

ـ ليس هناك اي خطر، يا صديقي!

قدم ستيفان الشراب وجلست اليس في مقعد مريح وتساءلت: لماذا ارتدت ملابسها هذا المساء بشكل انيق كأنها تستعد لسهرة كبيرة؟ ولماذا رفعت شعرها كعكة معقدة؟ للاحتفال برحيلها من سوليتاريا؟ اذا حصل ستيفان على جواب البيرتا، ستكون هذه الليلة ليلتها الاخيرة على الجزيرة. ربما تعود غداً الى اثينا مع الكسندر.

كان ستيفان مستنداً الى المدفأة وفي يده كأس. فقال الكسندر ملاحظاً:

ـ اصبح هذا المنزل مريحاً جداً، يا ستيفان. انا شخصياً، لا احب العيش في دير قديم. يجب ان يكون الانسان عاطفياً لينطلق في مهمة كهذه. افضل ان اقتني شقة حديثة في وسط العاصمة.

ـ انت دائماً تتحلى بالذهن العملي. لا اعتقد ان اليسيا تشاطرك الرأي. فهي تعتبرني قرصاناً، أليس كذلك، يا أليسيا؟

ـ للنجاح بالمهنة كالتي تمارسها، لا يكفي ان يكون الانسان مهذباً! بل سفاحاً، على ما اظن.

ضحك الكسندر وقال:

ـ انت مخطئة. نعم، يجب ان يكون الانسان عنيداً ليصبح سلطاناً في الفندقية. لكنني اندهش كيف لم تكتشفي الناحية العاطفية عند ستيفان انت الرسامة الفنانة. لا تبدين كالسياح الوقحين الذين يحتلون بلادنا. بعض النساء يرتمين باحضان الرجال من دون حشمة وحياء. ولا اعتقد انك من هذا النوع يا أليسيا... والآن، قولي، ما

www.elromancia.com

هي جذور اسمك الرائع؟

- في الواقع، انا ادعى أليس... لكن ستيفان يحب ان يدعوني أليسيا، المرادف اليوناني لأليس. ولا ارى اي سبب في ذلك، ما دمت انكليزية ونصف ايرلندية.

- آه، ولهذا السبب اذن عيناك زرقاوان خضراوان ورماديتان في آن واحد... او بالاحرى عيناك بحريتان... لانهما تشبهان الوان البحر...

توقف عن الكلام فجأة كأنه كان يريد ان يقول شيئاً وعدل عنه. لكن أليس عرفت انه يريد ان يذكر لها شبهها الغريب بتمارا.

ثم قال مبتسماً:

- ان عينيك رائعتان حقاً. تشبهان لون البحر، في مختلف مراحله... ما رأيك بهذا المنزل المبني على صخرة وكأنه يشبه عش النسر؟

- انه منزل غريب وموحش. لقد قمت ببعض الرسوم عن المنطقة لآخذها معي كذكرى.

سألها ستيفان بصوت متعجرف:

- هل كانت اقامتك حقاً لا تنسى؟ انا فرح لأنك تحملين ذكرى هذه الجزيرة معك. هل رسمت سيد المكان للمناسبة نفسها؟

- لم استطع رسمك كما يجب.

نعم، هذا صحيح، كلما حاولت أليس رسم وجهه، كانت يدها ترتجف والنتيجة بدت رهيبة. أليس تملك الموهبة لرسم الوجوه، ذي الملامح المتعلقة والشفاه الساخرة وعمق نظراته الحالمة والحزينة؟

قال الكسندر:

- في نظري ليس صعباً رسم صورة ستيفان، هو الذي يتمتع

بملامح ظاهرة.

هزت أليس كتفيها وغيرت الحديث وقالت:

- هل كنت تقول الآن بأنك تفضل العيش في المدينة؟ انا اعيش في المدينة.

سألها الكسندر بريبة:

- هل تحبين هذا النوع من الحياة، يا أليسيا؟ الظاهر انك لا تحبين الرفقة، مثل ستيفان هل انا مخطىء؟

اجاب ستيفان ببساطة:

- الذي يسمعك يعتقد بأنني لست رجلاً اجتماعياً. لكنني اعمل كثيراً وليس لدي الوقت للخروج.

- اعتدت على سماع هذا الكلام منك، يا ستيفان انه عذره الوحيد والدائم!

اكتفى ستيفان برفع حاجبيه، فصرخ الكسندر قائلاً:

- العمل من دون التسلية، كالعيش من الماء والخبز فقط.

اجاب ستيفان.

- اعتقد ان الانسان يمل ايضاً الحياة الصاخبة وبسرعة رهيبة. لكنه من الصعب ايضاً ايجاد البين بين، او قضاء حياة منفتحة من دون توحش اوذل وانحطاط. ربما افضل العيش من الخبز والماء...

قال الكسندر:

- المهم الا يعمل الانسان بدون انقطاع، او يعيش كالناسك. الا تخاف الا يؤثر فيك هذا الجو الذي يفوق الطبيعة، داخل هذا الدير؟

- حتى ولو كنت برفقة امرأة؟ ما رأيك يا أليسيا؟ هل تجدين الجو ظالماً، طاغياً وقلقاً في هذا المنزل وهذه الجزيرة؟

- لم اجد شيئاً فوق الطبيعة... كما لا اؤمن بالقدرات السرية.

ـ صحيح ان ظلاً على الجدار لن يجعلك تصرخين. . . لكن، رجل من لحم ودم. . . ماذا؟ . . . كوني صريحة. . .

ـ مثل كل النساء الوحيدات، اخاف ان يهجم علي احد. وليس سهلاً عليك فهم مثل هذه الأمور، لأنك رجل واثق من قوته. لكن مجرد التفكير بأن رجلاً ما سيهجم علي ويعنف، اجفل. . .

ـ افهمك جيداً. كما في مثل هذه الأحوال، يمكن للمرأة ان يغمى عليها من شدة الخوف.

هزت أليس رأسها حالمة وراحت تتخيل الحادثة في الزورق وعنف ستيفان ورغبته الواضحة في تعذيبها. فقط، الاغماء عليها، خلصها من براثنه. هل تلقى ستيفان جواب البيرتا، ويدرك الآن انه عاملها، ذلك اليوم، بطريقة غير لائقة.

حان موعد العشاء، فجلس الثلاثة امام الطاولة. وكالعادة كان الطعام شهياً. . . ودار الحديث حول العادات والتقاليد، التي كانت سارية في الماضي، والتي تفرض على المرأة الخضوع الكامل.

قال الكسندر:

ـ عينان جميلتان وتخيلهما ظل وجه محجب. . . أليس هذا هو الاغراء بعينه. ما رأيك، يا ستيفان؟ تصور أليس متحجبة. وبشعرها الكستنائي وعينيها اللتين تشبهان الحجارة النادرة، لا شك ان الناس سيعتبرونها شرقية.

شعرت أليس بالأحمرار يعلو وجهها. وبدلاً من الرد بسخرية، راح ستيفان ينظر اليها بقوة ويقول:

ـ هذا صحيح. لا يرى الانسان كل يوم مثل هذا اللون من العيون البحرية. تتمتع أليس بعينين ساحرتين وغريبتين. انا اشاطرك الرأي، يا الكسندر.

ـ الا تذكرك. . .؟

ترك الكسندر سؤاله معلقاً. فحمل ستيفان زجاجة الشراب بعنف نحو ابن عمه وقال له:

ـ هل تريد مزيداً من الشراب؟

وفي تلك الاثناء بدأت الكؤوس تطنطن وترن. وتطايرت الستائر مثل اشرعة نفختها الريح، وصعد الدخان من المدفأة. وبعد لحظات دوى الرعد في أرجاء المنزل.

قال ستيفان وهو يتأمل الحركة حوله:

ـ انها العاصفة!

رفع كأسه وقال:

ـ هل تخافين العاصفة، يا أليسيا؟

اجابت بهدوء:

ـ ليس تماماً. لكنني لم ار في حياتي هزة ارضية.

ـ ولماذا تتحدثين عن الهزة الأرضية؟

ـ انا اكيدة بأنني رأيت الثريا تتأرجح . . . واتساءل في ما اذا . . .

ـ الهزات الأرضية تحصل احياناً. لكن المنزل يحتوي على ملاجىء وكهوف متينة ومقنطرة. وفي حالة الخطر يمكننا ان نلتجىء اليها. لكن من الصعب التنبؤ بحدوث الهزات الأرضية. اذا انفتحت الأرض فجأة تحت اقدامنا. . .

قالت مرتعشة.

ـ آه، ارجوك. لمجرد التفكير بذلك، اشعر بالبرد في كل كياني. اتذكر الهزة الأرضية التي حصلت في تركيا والتي خضّت العالم بكوارثها. رأيت الصور في التلفزيون. كانت شنيعة ورهيبة.

ـ نعم، الطبيعة بامكانها ان تكون عدوة قاسية وصديقة حقيقية.

الطبيعة لها جانب انثوي مهم يجعلها قابلة للتغير باستمرار. . .

ـ لماذا؟

سأل الكسندر:

ـ لماذا الطبيعة تعتبر انثوية؟

ـ لأنها تلد, الاشجار والنباتات وآبار النفط والبراكين، كلها تأخذ جذورها ونبعها من الطبيعة.

قال الكسندر ضاحكاً.

ـ وما دور الرجل هنا؟

ـ الرجل هو الريح التي تحمل البذور، والمطر الذي يخصب الأرض والشمس التي تنبت كل شيء.

قال الكسندر:

ـ بالنسبة اليك اذن، الريح والمطر والشمس هي عناصر الخلق انها هي الفلسفة اليونانية البدائية.

ثم اضاف وهو ينظر الى أليس:

ـ ألم اقل لك ان ستيفان رجل عاطفي عنيد؟ انه مثل ابولون. . .

قال ستيفان بصوت لامبالي:

ـ أترك لك هذا النوع من التسلية.

ـ من الأفضل ان يبدأ الانسان شبابه بالطيش، اليس كذلك؟ من الجنون ان ننظر الى الحب بهذه الجدية!

ـ وماذا تعني بكلامك؟

ـ انت تعرف جيداً ما اعنيه، يا ستيفان. من الأفضل ان يعشق الانسان بعد ان ينضج تماماً وعندئذ يحب بجدية.

قاطعه ستيفان بلهجة ساخرة وقال:

ـ مثل العنب؟

ـ بالضبط. ومن الخطر ان . . . ان نرفع الفتاة الى الأوج. . .

قاطعه ستيفان قائلاً:

ـ وماذا تريد ان تقول، يا ستيفان؟

تقوقعت أليس في مقعدها، فالرعد يدوي في كل انحاء المعمورة.

جرع الكسندر من كأسه وقال:

ـ آه. . . من المفروض ان تعرف جيداً ما اريد قوله! كنت دائماً تعتبر تمارا فتاة مثالية، لكن هذا الملاك الصغير لم يكن افضل من غيره وانت تعرف ذلك. بالمناسبة، لم تكن تمارا تخاف من مغازلتي مثلاً. . .

نظر ستيفان الى الكسندر نظرة هجومية وقال:

ـ انت تكذب! وتكذب بوقاحة مريرة!

ـ ابداً. عليك ان تنظر الى الحقيقة بصورة مباشرة. كانت تمارا فتاة عادية تحب التسلية كالجميع. كانت سعيدة لانك كنت تعتبرها مميزة وكانت فرحة ان تتزوج من شاب جذاب وطموح. لكنها في الوقت نفسه كانت تحب ايضاً ان اغازلها.

ـ اذا كان ما تقوله حقيقة، لماذا انتظرت طويلاً لتحدثني بالأمر؟

ـ لم يكن هناك سبب لذلك. . .

ـ ولماذا تجد الآن سبباً؟ لأن أليسيا موجودة هنا؟ ربما لأنك تتخيل اموراً غير صحيحة؟

ـ هذا امر طبيعي.

ـ وتريدينا ان ننجذب لبعضنا قهراً؟ اسألها رأيها، ارجوك؟ وستقول لك بأنني آخر رجل تحلم في الوقوع بحبه.

نهضت أليس وقالت لستيفان:

ـ ماذا لو نقوم الآن بزيارة السقفيات؟

www.elromancia.com

كانت أليس تشعر بالذعر تجاه كلام الكسندر. مسكين ستيفان هو الذي عشق خطيبته حتى العبادة ووصفها بكل الفضائل الممكنة. . . يا لخيبة الأمل، كم هي قاسية ومؤلمة!

دفع ستيفان كرسيه وأجاب:

ـ فكرة حسنة. هل تأتي، يا الكسندر؟

اجابه ساخراً:

ـ اذا لا مانع لديكما.

ـ كفى، ارجوك. اعتبر نفسك محظوظاً لأنك لم تتلق ضربة مني على وجهك. . .

ـ لأنني قلت لك الحقيقة؟ ارجوك لا تتعود على رفض النظر او الاستماع. انظر الى الاشياء كما هي! . . . تباً لك ايها الأحمق! . . . انت تعرف محبتي لك وارجوك ان تفهم الحقيقة حتى ولو كانت قاسية.

كانت السقفيات المقنطرة شاسعة ومثيرة للنظر، تشبه الكهوف. الزجاجات والأواني تحت شبكة العنكبوت. تناول ستيفان مجمع تين وقال للفتاة:

ـ تذوقي مربى التين هذا.

كان رائعاً حقاً. صحيح ان الرهبان كانوا يعيشون بعزلة عن العالم، لكن ثروات الحياة الطبيعية كانت كلها في متناول ايديهم.

قال ستيفان بسخرية:

ـ سأروي لكما قصة ذكرني بها هذا الجو الكهفي. انها قصة زوج خانته زوجته فقرر الانتقام، فوضع في قهوة عشيقها المخدر. ولما عاد العشيق الى وعيه وجد نفسه مصلوباً حياً على جدار غرفة نوم عشيقته. هذا النوع من العذاب جيد الاختيار. . .

ـ اسمع، يا ستيفان، لن نتشاجر من اجل قصة كهذه. انه الماضي، الا ترى. لو عرفت انك ستنزعج لكتمت عليك الحقيقة.

ـ لكان ذلك امراً عاقلاً.

ـ هل تلوم نفسك، يا ستيفان، لأنك لم تكن غنياً في الماضي كي تتزوجها، ولأنها اضطرت الى ايجاد عمل لها، في منزل بعيد، كي تكتسب معيشتها.

قال ستيفان ساخراً:

ـ ارجوك، ولا تلعب دور المحلل النفسي ايضاً. انت تعرف كيف تحصل هذه الأمور في القرى كان مفروضاً على الخطيب ان يؤمن لخطيبته سقفاً قبل ان يسمح له بالزواج منها. انا ذهبت الى انكلترا ودرست هناك الدروس الفندقية. وهي ذهبت لتعمل كخادمة اطفال في منزل دمسكينوس. وعندما كنت ما ازال في انكلترا علمت بوفاتها. فجئت في الحال شاعراً بالذنب لأنني هجرتها. . . ربما كان من الأفضل ان اخطفها بالرغم من . . .

لم يكمل كلامه بل امسك أليس بمعصمها وقال:

ـ تعالي، البرد قارس هنا. أراك ترتجفين برداً. لنصعد قرب المدفأة.

ولما اصبح الجميع في الصالون، وضع ستيفان الموسيقى. وجلست أليس في مقعد مريح، مسترخية تسمع ايقاع البوزوكي، الذي يعبر عن الفرح والألم معاً. كانت تنظر الى ستيفان الواقف قرب النافذة. كان مأخوذاً بالموسيقى، لكنه لا شك انه كان يفكر، يفكر باستمرار بحبيبته اليونانية التي كان يعتبرها القداسة بحد ذاتها، بينما كانت تغازل من خلف ظهره صديقاً له اقل احتراماً منه. . . الملاك الساقط. . . وفكرت أليس فجأة بأن تمارا ربما كانت تشبه البيرتا. . .

اي مثلها، كانت تحب ان تلعب بالنار. . .

ومن طرف عينها رأت يد ستيفان تتقلص في جيبه. فانعقدت حنجرتها. لا شك انه استلم برقية البيرتا. لماذا يريد ارجاء هذا الخبر مطولاً؟ هل ينتظر ان يكون وحده معها؟ نعم، من دون شك. . . لا يريد ان يعرف الكسندر حقيقة مغامرتها.

من وقت الى آخر، كان الرعد يقصف في ارجاء الدير، حاجباً بضجته القوية صوت الموسيقى. ماذا يحدث في حال وقوع هزات ارضية؟ هل تنهمر القلعة على البحر؟

توقفت الاسطوانة. الرجلان يدخنان بصمت. فقط دوي الرعد وتكتكة الساعة.

تثاءب الكسندر ونهض واقفاً وقال:

ـ الهواء البحري يدفعني الى النعاس سأذهب الى النوم. هل بامكاني ان اقودك الى غرفتك، يا أليسيا؟

قال ستيفان بصوت هادىء:

ـ لو سمحت، لدي شيء سأقوله لأليسيا، على حدة.

ـ اذن، تصبحين على خير، يا أليسيا. آمل الا تمنعك العاصفة الصاخبة من النوم. تصبح على خير يا ستيفان.

اختفى فرفعت أليس نحو ستيفان عينيها المليئتين حذراً.

٩ ـ . . . ولم تكن البرقية صادقة فالبيرتا خافت من زوجها وانكرت معرفتها بالقصة، مما جعل ستيفان يتشبث برأيه ويعلن رغبته بالزواج من أليس. وجاء الزلزال يحطم الغرفة العاجية ويقلب الأمور رأساً على عقب.

اقترب ستيفان ببطء نحو المدفأة ورمى سيكارة فوق الحطب المشتعل ونظر الى أليس بوجه قاس وقال:

ـ تعرفين ولا شك لماذا اريد ان اكلمك على حدة؟

قالت بصوت مخنوق:

ـ استلمت الجواب، أليس كذلك؟

احنى رأسه واخذ من جيبه ورقة زرقاء واعطاها لها. فتحتها بيدين مرتجفتين واتسعت عيناها وهي تقرأ.

«المذكور دمسكينوس غير معروف مني ومن زوجي. محبة. البيرتا».

ـ ماذا عندك للتعليق على هذا؟

www.elromancia.com

صرخت قائلة:

ـ البيرتا تكذب. لا شك انها تخاف من غيرة زوجها. في الماضي ابتعد عنها لشدة تعلقها بالرجال ولا تريد ان يحصل هذا الأمر مجدداً. ولهذا السبب تنفي معرفتها لدمسكينوس. ارجوك ان تصدق كلامي، يا ستيفان. لم تفكر ابداً ان هذه الكذبة ستدمر حياتي.

ـ هذه الكذبة؟ لماذا ادعت اختك انها تدعى أليس امام دمسكينوس؟ وما دامت تحب المغامرة، لماذا هجرت دمسكينوس الملياردير من اجل مزارع بسيط؟

ـ لأنها ادركت، في الوقت المناسب، بأنها تحب هاري.

ـ الا تخجلين من التستر وراء اختك لمحاولة التخلص مني! انا آسف، يا عزيزتي، لكن حيلتك لن تخدعني. لو قلت لي الحقيقة لتركتك تذهبين وشأنك. اما الآن، فلم يعد ذلك وارداً على الاطلاق. انت اذن الفتاة نفسها التي اتت الى اليونان لتبيع نفسها لرجل ثري حقير.

تناول البرقية من يدها بقوة ورماها في النار، ثم اضاف:

ـ انا ايضاً املك المال، واكثر من اللزوم لارضاء رغبات فتاة مرتزقة مثلك.

ـ مرتزقة؟ لا يحق لك قول مثل هذا الكلام! ابداً لم...

قال باحتقار:

ـ لا تعرفين النطق الا بهذا الكلام. لم تفعلي شيئاً. انت فتاة عاقلة ومسكينة. آه، تحملت في شبابي ان انخدع امام تحفظ المرأة ولطفها، لكن السذاجة لا تليق بي الآن، بعد هذا العمر. ولن يتمكن احد من خداعي، بعد الآن.

اقترب من أليس، فرجعت الى الوراء. فأمسكها بكتفيها بقسوة،

فأصدرت صرخة ذعر وحاولت التخلص منه. تمزق ثوبها من ناحية الكتف. فقالت لاهثة:

ـ آه، انظر ماذا فعلت. انت رجل قبيح وكريه.

ـ هل ستبكين الآن من اجل ثوب تافه. سأشتري لك العشرات منه.

جذبها بقوة بين ذراعيه القويتين وقال:

ـ كدت اصدق بأنك فتاة صادقة وبت اندم لما فعلته بك او حاولت فعله. راقبتك في هذه الأيام الأخيرة وانت ترسمين على الشاطىء، وتتنزهين في المنزل وتتنشقين ازهار حديقتي وكأنك حقاً «أليس في بلاد العجائب». كما اعتقدت بانك فتاة بريئة، لا تفكر لحظة في ان تبيع نفسها لرجل كريه مثل دمسكينوس.

نظر ستيفان في عينيها مباشرة واضاف يقول:

ـ آه، لقد خدعتني بنظراتك المتحفظة! سأريك نجوم الظهر! سأتزوجك اذن، لأن دمسكينوس لم يعد يريدك، في كل الأحوال. بعد هذا الخطف سيستنتج بنفسه النتائج التي تفرض نفسها.

وبينما كانت تتخبط في محاولة للتخلص من قبضته، راحت تقول:

ـ كيف يمكنك ان تتكلم عن الزواج... عندما... عندما تكرهني الى هذا الحد؟

ـ لاني ارغبك واريدك. وهذا يكفي.

اصبح عليها ان تبذل كل جهدها كي تعارض هذا الزواج الخالي من الحب. ستيفان لا يحبها ولن يحبها ابداً. فضل تصديق رواية البيرتا على حكايتها. بالنسبة اليه ليست سوى فتاة ترتشي، فقرر ان يشتريها، فقط لا غير.

ـ لا جدوى في ان تقاوميني، يا اليسيا. انت لي. نحن انسانان

www.elromancia.com

تعبنا من العيش في الوحدة الرهيبة، ومن الأفضل ان نعيش معاً. انت تحبين منزلي ولا شك وهذا ما اشعر به. وبامكانك ان تجعليه منزلنا بما في الكلمة من معنى.

ـ اعتقد ان خادمتك كافية لأن تقوم بادارة هذه المنزل على احسن وجه.

ضمها بقوة اليه وقال:

ـ لم التق ابداً بامرأة مثلك. واتساءل احياناً اذا كانت الطريقة الوحيدة لقهرك هي في الحصول عليك بفظاظة، حتى ولو صرخت واغمي عليك.

شعرت أليس بأنفاسه فوق خدها. فجأة احنى رأسه وعانقها بنعومة وقوة وهمس قائلاً:

ـ آه، كم هو عظيم امتلاكك هنا، الآن، على هذا البساط... نعم، سأفعل ذلك اذا ما استمريت بالارتجاف مثل هرة غاضبة، كلما حاولت لمسك ومداعبتك.

ـ آه، ستيفان، لم اعد قادرة على المقاومة. انت عديم الشفقة. اعرف بأنني سأخسر وانت ستكون الرابح.

ـ هذا ما كنت اتمنى ان اسمعه من فمك.

عانقها بحنان، فتجاوبت كغريقة الى ان همس قائلاً:

ـ حسناً، ارى تحسناً ملموساً... لم يغم عليك... عندما تنسين عقدتك، يا أليسيا الصغيرة، تصبحين امرأة في كل ما في الكلمة من معنى... خطبتنا لن تدوم كثيراً... اريد ان اوصمك بوصمتي. تعالي الى مكتبي. لدي كل ما يلزم في خزنتي.

امسك بمعصمها، لكن خطت خطوة الى الوراء وقالت:

ـ لا داعي لذلك، يا ستيفان.

ـ بلى. انا آسف لثوبك الممزق. قريباً ستملكين الملابس بغزارة والحلى العديدة.

ـ لكنني... لا اريد شيئاً...

نظرت اليه بتوسل وقالت:

ـ الشيء الوحيد الذي اطلبه منك، هو ان تصدق كلامي. هل هذا معقول؟

ـ هذا امر غير وارد على الاطلاق.

جرى داخل البهو، وسط البرق والرعد وادخلها بالقوة الى مكتبه. على الطاولة الملبسة بالجلد، تمثال برونزي نصفه الاعلى بشر ونصفه الاسفل ماعز، يعزف على العود وهو يلاحق الحوريات.

كبس على زر، فزاحت اللوحة المعلقة على الحائط، فظهر باب خزنة حديدية. كل شيء يبدو خرافياً للفتاة الواقفة قرب الطاولة... هل هذه مشيئة القدر؟ لن تعود ابداً الى شقتها اللندنية حيث امضت ساعات طوال في الوحدة الثقيلة. من الآن فصاعداً ستصبح ملكاً لهذا الرجل الجذاب الذي يعاملها كشيء يملكه... لا تستطيع التصديق بأنها ستصبح زوجته. تقلصت عندما رأته يحمل في يده صندوقاً جلدياً صغيراً. رجعت الى الوراء، فراح يحدق بها بسخرية ويقول:

ـ عادة المجوهرات تثير النساء... لا تدعيني اعتقد بأنك لا تبالين بهذه الهدية!

هزت كتفيها وقالت:

ـ تنقصني الخبرة! لم يسبق ان اهداني احد الحلى والمجوهرات.

فتح الخزنة بحركة جافة. فلمعت الحجارة النادرة الخضراء المعلقة بالسلاسل الذهبية: عقد واسوار وخاتم. حبست أليس انفاسها امام

www.elromancia.com

هذه الروعة، فسألها:

ـ ما رأيك بهذه الزمردات، يا عزيزتي؟

حمل العقد بيده، ولمعت حبات الزمرد على ضوء المصباح.

ـ انها افتح واجمل من الزمرد العادي. وستليق بك جيدا لأنها تتناسق ولون عينيك.

رمقته أليس بنظرة عدائية وقالت:

ـ تريد ان تقول: تليق بعيني تمارا... هذه الحلى تخصها!

قال بصوت بطيء:

ـ تمارا ماتت وهذا الزمرد لك، يا أليسيا. هيا، خذي الهدية من دون تصنع. ربما تخفف من برودتك.

نظرت اليه أليس بصمت. كادت ان تحتج، وان تقول له بأنه مخطىء تجاه احاسيسها وانه يثيرها كثيراً. فردد يقول:

ـ هيا...

احمرت وهي تلمس المجوهرات باصابعها الباردة المرتجفة. ثم همست:

ـ لقد... لا، لا تطلب مني المستحيل. لا يمكنني ابداً ان احل مكان فتاة راحلة.

وضعت العقد على الطاولة وولت هاربة كالمجنونة.

وبينما كانت تنزل بدأ السلم يتأرجح تحت قدميها مثل جسر سفينة. فاندفعت الى الأمام، متمسكة بدرابزين السلم، والأرض تستمر في الارتفاع كالأمواج الهائجة تحت حذائها الخفيف.

هزة ارضية! ضجة مرعبة دوت في اذنيها وانقصاف قوي لفت نظرها. فتحت فمها لتصرخ، لكن لا شيء خرج من شفتيها. السقف تصدع ثم انشق. والسلسلة التي تعلقت بها الثريا بدأت

تتفكك... بعد قليل، ستقع عليها. ذعرت، لكنها شعرت فجأة بانشداد الى الوراء بعنف كبير. فخطفت صرخة ألم. وسقطت الثريا على الأرض محدثة دوياً رهيباً.

الأيدي التي خلصتها من موت اكيد دفعتها الى ممر مقنطر. فتقوقعت أليس من الخوف وشدت نفسها الى مخلصها. الدير يتأرجح على ركائزه والأرض تنشق والماء يتصاعد من الأنابيب المحطمة. الحجارة تنهمر من الجدران وتسقط محدثة غيمة كثيفة من الغبار. الاثاث ينقلب مفرقعاً، فتتناثر محتوياته على الأرض المليئة بالانقاض.

وفي هذه المعمعة كان ستيفان بالنسبة اليها عوامة الانقاذ. تتعلق به بشدة. فجأة، وعلى بعد متر واحد منهما، انشقت الأرض مبتلعة خزانة محفورة. اطلقت أليس صرخة رعب. حملها ستيفان وجرها بعيداً، خلف جدار سميك وتمدد فوقها كدرع ليحميها ووسط هذا الانهيار ادركت أليس امراً حتمياً: رغبتها الوحيدة ان تكون مع ستيفان وان تبقى معه، حتى ولو لم يحبها، كما احب تمارا.

ـ تشجعي، يا أليسيا. الهزة الأرضية ستنجلي قريباً. كأنها نهاية العالم، أليس كذلك؟

كانت ترتجف كورقة، بالرغم منها. لكنها لم تكن خائفة لكونها مضمومة الى صدره. فجأة سمعا صوت امرأة، تقلص ستيفان استعداداً للنهوض. فتمسكت به أليس متوسلة:

ـ لا، ارجوك، يا ستيفان، لا تتركني.

بدأت الهزات تتباعد والضجة تخف تدريجاً. ثم ران الصمت، صمت غريب، تتخلله فرقعة القرميد والحجارة التي تنحدر من السقف والجدران. عادت الأرض الى جمودها. فجأة رأى ستيفان دخاناً يتصاعد من باب الصالون، فانتفض واقفاً واسرع باتجاه

الدخان، فلحقت به أليس. لهب النار يتصاعد تناول ستيفان الستائر المرمية ارضاً ليحاول اطفاء الحريق بها. اما أليس فراحت تحاول بقدميها اطفاء اللهب الآخذ بالامتداد. صرخ بها قائلاً:

ـ انتبهي الى فستانك والا امتدت النار اليك!

رفعت أليس تنورتها الواسعة ومزقت ثوبها واسرعت لتجلب ابريق الماء الموضوع على الطاولة وافرغت محتوياته فوق اللهب.

ـ التقطي هذا.

كان ستيفان قد انتشل الستائر بقوة ورماها صوب أليس. اخيراً تمكنت أليس من اطفاء النار بعدما امتلأت عيناها بالدخان والغبار. ثم اسندت ظهرها الى الباب، متعبة وراح الدمع ينهمر على خدها.

ـ يا الهي، يا لهذا المنظر وهذا الخراب!

ربت ستيفان على كتفيها وقال:

ـ لا اهمية لذلك. كل شيء يمكن تعويضه. لكنني قلق لما يمكن ان يكون قد حدث لبقية سكان المنزل. هل سمعت الصراخ، انت ايضاً؟ خذي ضعي سترتي.

اطاعته من دون مناقشة وتبعته. وما ان وصلا الى اسفل الدرج حتى شاهدا الكسندر مدمى الوجه ومستنداً الى الدرابزين.

صرخ ستيفان قائلاً:

ـ هل من امر خطير؟

ـ كلا. جرح بسيط.

ـ ماذا جرى فوق؟ سمعت صراخ امرأة. هل اصيب احد بجروح؟

ـ كلا. انه صراخ الخوف.

ظهرت فجأة الخادمة وابنة اخيها هيلدا، المنهمرة في بكاء مرير.

فقالت كاترينا بهدوء:

ـ كل شيء على ما يرام، يا سيدي. تمددنا تحت السرير عندما بدأت الهزة. اما هيلدا فخافت وهرعت الى الممر. كان شيئاً مخيفاً للغاية.

شرح الكسندر قائلاً:

ـ جزء كبير من السقف سقط مدمراً الغرفة العاجية كلياً. من الأفضل لنا ان ننزل الى الكهف في حال عادت الهزات من جديد.

المولدة الكهربائية لم تصب بأي ضرر مما جعل الكهرباء تشتغل. اضاء ستيفان المكان، وتدريجياً بدأ العمال الذين يسكنون المنزل بالظهور، الواحد تلو الآخر شاحبي الوجوه كالاشباح. وبعد لحظات من الذعر الصامت، ادرك الجميع انهم نجوا. فانطلقت صرخات الفرح وانهمرت القبل الى ما لا نهاية.

اخيراً قال ستيفان بصوت آمر:

ـ علينا الآن البدء بالتنظيم. اولاً، احتساء قهوة جيدة ساخنة لنستعيد قوانا. ثم علينا ان نمسح الأرض لازالة المياه المتراكمة. وانت، يا ميكلوس، ستأخذ مصباحاً وترافقني الى الكهف. علينا ان نقفل مصدر الماء الاساسي والا غرق المنزل.

همست اليس بصوت ناعس موجهة الحديث الى الخادمة.

ـ هذه الغرفة... الغرفة العاجية... كل شيء فيها تدمر... لم يبق حقاً شيء...

هزت كاترينا ابنة اخيها المذعورة والجامدة وقالت لها:

ـ هيا، يا هيلدا. انتهى كل شيء الآن ونحن كلنا احياء. عودي الى رشدك.

قال ستيفان متفحصاً الفتاة:

ـ انتبهي. لقد حصل للفتاة صدمة قوية. وعليها ان تتمدد قليلاً.

قالت هيلدا متلعثمة:

ـ انا... كل شيء على ما يرام... لم يبق شيء من غرفتها، يا سيدي... رحمها الله!

قالت كاترينا:

ـ هدئي من روعك، يا هيلدا. لا تعرفين ما تقولين.

قال الكسندر وهو يبحث عن ستيفان بنظره:

ـ آه، بلى! انها تتكلم عن الغرفة العاجية... بالفعل هذه الغرفة اختفت كالشبح الذي تضمر له الاجلال كالعبادة.

ران صمت ثقيل. الكل يحدق بستيفان لمحاولة قراءة افكاره. لكن لا شيء ظهر على وجهه القاتم. اخيراً قال بصوت حازم:

ـ لنشكر السماء لأننا نجونا جميعاً من هذه الكارثة. كاترينا، حضري لنا القهوة. وانت يا أليس ارجو الاهتمام بهيلدا.

ومن دون كلمة امسكت أليس الفتاة بذراعها واخذتها الى الصالون. مددتها على الاريكة بعد ان ازالت عنها الغبار. ثم توجهت الى غرفة الطعام وسكبت لها شراباً مقوياً وعادت قربها. فراحت هيلدا تقول:

ـ سيدي رجل لطيف ومحب. وكلنا نريد سعادته. منذ مجيئك، يا آنسة، ونحن نتمنى ان تبقي معه. العيش في الماضي امر غير صحي. تدمرت غرفتها كلياً. وهذه اشارة اكيدة، اليس كذلك؟ السرير، الصورة، الآنية الفضية على منضدة الزينة، الخزانة... كل شيء تحطم اربا. عندما يرى سيدي ذلك، سيصاب بالدهشة والذعر.

ـ لكن، يا هيلدا، لم يصب احد بأذى، وهذا اهم ما في الأمر

وهذا ما قاله ستيفان بنفسه. الاثاث والحجارة كلها يمكن التعويض عنها...

اخيراً قررت اليس البقاء في الجزيرة فهي تحب ستيفان بصورة اكيدة. لكنها اكيدة ايضاً بان ستيفان لا يشاركها هذا الحب.

وفي هذا اليوم والأيام التالية، اهتم الجميع باعادة الأمور الى طبيعتها. ارسل ستيفان وراء متعهد بناء من اثينا، مع فرقة عمال، للسهر على ترميم المنزل بصورة جيدة.

لا احد ذكر الغرفة العاجية المتلفة، المفتوحة للرياح كالجرح العميق... وأليس تعمل بنشاط مع الموظفين، مسرورة لانشغالها جسدياً وعقلياً.

الهزة الأرضية دمرت عدداً كبيراً من المزارع. بعض الحيوانات اختفت او لاقت حتفها، لكن لا ضجة في كل الجزيرة. فقط بعض الجرحى الذين توجهوا الى احدى مستشفيات العاصمة اليونانية. ورافقهم الكسندر. وجدت اليس نفسها وحيدة من جديد مع ستيفان. وذات يوم عثرت على المجوهرات المصنوعة من حجارة الزمرد على طاولتها قرب السرير. انها طريقة ستيفان في طلب وعد منها. في المساء ارتدت الأساور وبعد العشاء ذهبا معاً للتنزه في المروج. توقف ستيفان تحت شجرة حامض واخذ أليس بين ذراعيه. فلم تقاومه فتعانقا بحب. ثم قال ستيفان وهو يداعب شعرها الطويل:

ـ لقد فهمت ماذا اريد، على ما اظن... نعم اريد امرأة محبة وراضية... نهار السبت سترافقينني الى حضور عرس ابنة اكيلو. سيكون تمريناً لعرسنا. عندنا، الزواج تكريس محترم. ستكونين لي كلياً، بلا قيد ولا شرط.

ـ انها العدالة! الزواج وعوضاً عنه، هذه المجوهرات الفاخرة. . . قالت لي كاترينا ان على الفتاة المخطوبة ان تجلب مهراً لزوجها. انا لست غنية، يا ستيفان وانت تعرف ذلك. ولن املك جهازاً مطرزاً. القليل الذي املك متواضع للغاية. وهذا امر غير مرغوب فيه هنا.

ـ مهرك هو عذريتك.

ـ كيف بامكانك ان تكون متأكداً من ذلك؟ رفضت ان تصدق كل كلمة قلتها لك. ولماذا تصدق. . . براءة فتاة انكليزية في الرابعة والعشرين من العمر؟

ـ اقرأ ذلك في عينيك، في تصرفاتك. عديني بالا ترفضي لي شيئاً، يا أليسيا.

عانقها من جديد، فاغمضت عينيها ناسية كل ما يحيطها. ارتعشت فجأة، فأعتبر انها انزعجت من مداعبته، فتركها وقال:

ـ ستصبحين لي، يا كنزي. وسأعرف كيف اذيبك، اعدك بذلك.

لم يعرف بعد انه اذاب قلبها حتى الآن. وببطء اخذا طريق المنزل. افترقا في اسفل السلالم. وفي منتصف الطريق التفتت اليه، كان واقفاً من دون حركة. كادت ان تنزل من جديد وتنسى كبرياءها وخجلها وترجوه الا يرى فيها انعكاساً لفتاة ميتة، بل ان يحبها لذاتها.

وفي هذه اللحظة، استدار واختفى في الظل. تجهم قلبها واكملت صعودها. لا شك انه ما يزال يعتبرها قبلت الزواج منه، من اجل ماله فقط. الن يثق بها ابداً؟

ولما مرت امام الغرفة العاجية، رأت الخراب. وتساءلت أليس.

هل كان حب تمارا صادقاً؟ الى من كانت تشير ذلك اليوم على الشاطىء المشمس؟ الى الكسندر المتشكك؟

لمست أليس الأساور ومدت ذراعها كأنها تريد للشبح ان يرى الزمردات. وكأنها تريد ان تقول: انه لي، هل فهمت؟ سأفعل المستحيل كي ينساك، يا تمارا، اقسم لك بذلك.

www.elromancia.com

١٠ ـ ارتدت أليس فستاناً يونانياً قديماً لحضور حفلة العرس في القرية. لكن ستيفان صدها بعنف فهربت الى التلال حيث وجدت كلباً متشرداً... وحيث اكتشفها ستيفان في اللحظة المناسبة...

ـ حاولي اذن!

ارتعشت قلقاً وهي تسمع هذا الهمس الساخر، جواباً لهاجسها الخفي. هل هي الريح تعصف في ارجاء الغرفة المدمرة.

ـ حاولي اذن!

ظل الصوت يتبعها حتى غرفتها. خلعت الأساور، وضعتها على السرير. انها اشياء بلا روح... ليست عربون حب، بل عملة تبادل ببساطة...

راحت تمشي طولاً وعرضاً، ممزقة بين السعادة الكبرى لحب ستيفان والخيبة لأنه اعتبرها فتاة ترتشي. كيف تنسى الطريقة التي نظر بها اليها؟ هل كان يحلم باليوم المقبل حيث سيصعدان جنباً الى

جنب السلالم التي تؤدي الى غرفتهما... كزوج وزوجة؟ نعم، من دون شك.

هذه الفكرة جعلتها ترتمي على طرف السرير. كم سيكون رائعاً ان يحضنها بين ذراعيه. لكن، اين الحنان الذي طالما حلمت به؟ لن يفكر الا في اشباع غليله الشرعي منها. اليس هو الرجل المناسب لأليس شيلدون المسكينة؟ كلا، لا يحق لها ان تفكر بأمر مماثل. ومهما كانت اسباب اختياره، فما يزال الزواج بالنسبة الى ستيفان امراً جدياً، كأي يوناني آخر.

والآن... ماذا سترتدي يوم السبت لحضور العرس؟ ربما تشتري فستاناً من الطراز اليوناني البحت. لكن الن تذكره هكذا بتمارا؟ ولماذا ترغب في ارتداء الزي اليوناني؟ لحاجتها في التظاهر، ولو ليوم واحد، بأنها تلك الفتاة التي وهبها ستيفان قلبه؟

وبيأس اخفت وجهها في الوسادة. فهي تشتعل رغبة في ان تمتلك قلب ستيفان. وبكل قواها كانت تتمنى ان تكون الهدف الوحيد لحبه الشغوف. لا تطلب شيئاً من الحياة الا ان تكون كل شيء بالنسبة اليه.

وفي الغد اعربت لكاترينا عن رغبتها في شراء زي محلي لترتديه نهار السبت، بمناسبة حفلة الزواج. فوجدت الخادمة الحل السريع، اذ كانت تملك زياً منذ سنوات عديدة تحفظه في مكان امين. ومن كل قلبها، قدمته لأليس. فتساءلت هذه الأخيرة بتردد:

ـ لكن... هل سيسخر الناس مني، اذا ارتديت الزي اليوناني؟

ـ ابداً. بالعكس، سيتأثرون لرؤية ضيفة سيدي ترغب في ان تكون واحدة منهم. سآتي بالفستان في الحال، يا آنسة، لعل هناك بعض التصليحات الضرورية. لكنني لا اعتقد ذلك لانني كنت

www.elromancia.com

نحيفة مثلك، في الماضي.

- وحسب رأيك، ماذا ستكون ردة فعل ستيفان؟

- يفرح الرجل دائماً اذ تحاول المرأة ان تكون جميلة من اجله. لو كنت شقراء لما لاق بك الزي. انت انسانة طيبة، يا آنسة. فرحت هيلدا كثيراً لمساعدتك لها ليلة الهزة الأرضية... طبعك الهادىء مريح...

- هذا هو الطبع الانكليزي. نحن الانكليز نعرف استعمال برودة اعصابنا في المناسبات الكبيرة. كما لهذه الميزة الحسنة عيوب اخرى لاننا لا نعرف كيف نطلق مشاعرنا وعواطفنا. تنقصنا العفوية.

ابتسمت كاترينا وقالت:

- هذا الأمر لا ينطبق فقط على البريطانيين. كلما كانت العواطف عميقة، كلما كان من الصعب التعبير عنها.

عبست اليس حالمة:

- نعم، الانسان بحاجة احياناً الى هزة ارضية لانكشاف الذات...

- سآتي بالثوب لتجربيه.

- لا، لا، انتظري. لقد غيرت رأيي. سأرتدي... ثوباً آخر...

- لك وحدك القرار، يا آنسة. لكن جربيه فقط. ربما اعجبك؟

- لكن ماذا لو لم يعجب ستيفان؟

- سيعجبه بلا شك ولا تنسي الفرح، سعادة الحب... طبعاً، الرجال سلطويون، انانيون لكن قلبهم دافىء. انهم بحاجة الى الحب والحنان، كما الأرض بحاجة الى الشمس والمطر. لا تبحثين عن المصاعب حيث لا توجد.

- كل هذا اعرفه جيداً، لكن، مقاومة شبح ميت امر غير سهل...؟

- الشبح ضعيف وعاجز امام انسان حي يرزق.

- هل انت اكيدة من ذلك؟

- نعم، كل التأكيد، يا آنسة.

- لماذا اذن لم تتزوجي مرة ثانية، يا كاترينا؟

- هذا امر مختلف.

- لا، ليس مختلفاً. كنت تحبين زوجك، اليس كذلك؟ وما زلت تنتمين اليه...

تنهدت كاترينا وقالت:

- كنا لبعضنا البعض تماماً. ولا يمكنني ان اجد رجلاً آخر مثله. عندما يعيش المرء حباً عميقاً ودائماً، كيف يمكنه القبول بشيء اقل من ذلك؟

تقلصت اصابع أليس على نظارتيها. اذا تزوجت ستيفان، فلن تحصل الا على فتات الوليمة... لكنها ليست اقل شغفاً من نساء الجزر المشمسة. في كل اعماقها كانت تتوق الى التحام حقيقي مع رجل حياتها.

التقت بنظرات كاترينا المحدقة بها. لا شك انها عرفت ما يدور بين معلمها والفتاة الانكليزية. لكن الخادمة لم تطرح عليها الاسئلة المحرجة، بل اكتفت بالقول:

- عليك ان تجربي الثوب، يا آنسة. يجب التحلي بالشجاعة لمقاومة... لمقاومتها...

- من؟ تمارا؟

- عليك ان تبرهني لسيدي انك ساحرة.

www.elromancia.com

ـ انا . . . انا فتاة عادية، يا كاترينا.

ـ لن تقولي ذلك متى رأيت نفسك في هذا الزي الوطني. سيفتخر بك، يا آنسة. انا اكيدة من ذلك.

ـ انت امرأة طيبة. آه، انتم في اليونان ليس من السهل معرفتكم! تخبئون قلباً من ذهب تحت درع الريبة واللامبالاة.

ـ سيدي هكذا، يا آنسة. من لا يعرفه يعتقد انه قاس وصارم وعنيف، غير قادر على التأثر او الاحساس بالعاطفة. ثم نكتشف بأنه رجل وحيد وكريم. ونتمنى له ان يجد السعادة اخيراً. النساء اردن الزواج منه لمركزه وماله. لكنه يستحق اكثر من ذلك. يستحق امرأة جديرة به، تعرف ان تعطي نفسها، جسداً وروحاً. الرجل الغني ليس اكيداً من ان المرأة تتزوجه من اجله فقط. كم من امرأة رفضت ان تعطي نفسها الا بعد الحصول على شيء بديل! لكن، انت، لست هكذا، يا آنسة. لمحت ذلك فيك من النظرة الأولى. يشعر المرء تجاهك بانك ترغبين في العطاء بصمت ومن دون تردد. ومعلمي يكون مجنوناً اذا لم . . .

قاطعتها اليس بصوت متردد:

ـ لقد طلب يدي.

تلألأت عينا كاترينا وصرخت:

ـ آه، ووافقت؟

ـ لقد . . . الأمر خطر للغاية. انه لا يحبني حقاً. ربما يكون زواجنا جحيماً . . .

ـ هل تكونين اكثر سعادة من دونه، يا آنسة؟

ـ هل اكون سعيدة اذا شعرت بأنه يقارنني باستمرار . . . بانسان آخر؟ ليس الزواج كل شيء في الحياة يا كاترينا. لدي مهنة . . .

هزت كاترينا رأسها ببطء وقالت:

ـ الفتاة اليونانية تعرف ان القدر يخصها برجل وبرجل واحد. وهي تعرفه في الحال، عندما تراه. ولا تتردد لحظة في الزواج منه. حتى ولو لم يكن يحبها بالشغف نفسه، او لانه انجذب بالمهر. هذا الرجل مرصود لها. فتتزوجه وتبذل جهدها كي يصبح هذا الزواج زواج حب حقيقي.

ـ نعم. لرفع التحدي . .

ـ نعم. المقاومة للربح، يا آنسة، أليس هذا هدف مثير؟ اذن . . . سأجلب الثوب؟

ـ نعم، اتفقنا.

اخذت القرار النهائي ولمعت عيناها فرحاً. نعم ستكون جميلة في حفل الزواج وستتعلق بذراعيه كانسانة مغرومة. وسيعرف الجميع بانها تحبه وتريده وبأنها تجد الوقت طويلاً قبل زواجها. نعم، يجب ان تسيطر على خجلها وتحفظها. عليها ان تنسى ان عدم حب ستيفان لها مشكلة عليها احتمالها . . .

بعد قليل عادت كاترينا حاملة الثوب اليوناني، تتبعها هيلدا التي اصرت ان ترى الفستان على الفتاة الانكليزية. كان الزي مؤلفاً من تنورة من الحرير المطرز وعدد كبير من الكشاكش الداخلية، فوق قميص من الحرير ذات الأكمام الواسعة المطرزة وسترة فضفاضة مخملية واكليل مزين باللآلىء . . .

ولما انتهت أليس من ارتداء الثوب راحت تدور حول نفسها كي تتمكن المرأتان من تفحصها كلياً. ثم نظرت اليهما بقلق وقالت:

ـ ماذا؟ هل هذا معقول؟ ارجو ان تكونا صريحتين معي؟

قالت كاترينا بابتسامة مبتهجة:

www.elromancia.com

- انظري الى نفسك في المرآة، يا آنسة كأن الثوب صنع خصيصاً لك.

ولما نظرت أليس الى نفسها في المرآة، حبست انفاسها. الألوان المتناسقة تظهر وضوح لون عينيها البحريتين وشعرها الطويل الحريري. كانت تبدو مليئة بالبهجة والحماس والشوق وتضج بالحياة.

قالت كاترينا بعد ان ازاحت التنورة:

- هذا الزي يليق بك تماماً. كيف تجدين ذلك، يا آنسة؟

- كالفزاعة! هل اجرؤ على ارتدائه؟ لا اصدق انني انا من يرتدي هذا الزي. كأنه يكشف عن جانب مخبأ من شخصيتي...

- ربما تنظرين اخيراً الى نفسك، كما انت بالذات.

- اعتقد بأن هذا الزي يليق بي لأنه يعود الى القرن الفائت. ولست مندهشة بعد الآن لانني اعتبر نفسي فتاة محافظة.

قالت هيلدا:

- اذا ارتديت هذا الثوب في حفل زواج مارينا، ستبدين مثل فتيات بلادنا. ولا شك بانك ستجدين رجالاً سيقعون في غرامك.

قالت كاترينا:

- لا تقولي اموراً سخيفة، يا هيلدا. الآنسة ضيفة سيدنا. ومن الأفضل لبقية الرجال ان يقفوا على حدة وبعيداً جداً.

نظرت هيلدا الى عمتها متسائلة وقالت:

- ... في العرس سنرقص. وستتلقى الآنسة الدعوات العديدة... انها ضيفة سيدي، لكن ذلك ليس سبباً كي تبقى جالسة مع النساء العجائز بينما الجميع يلهو ويفرح.

قالت أليس حالمة:

- احب كثيراً ان اشترك في الرقصات اليونانية. هل تعتقدين ان ستيفان سيعارض؟

اجابت كاترينا:

- سنرى ذلك في حينه.

قالت أليس:

- في بلادنا، الجميع يرقصون في الاعراس، والسيد كسندروس ضيف الشرف. هل سيبقى جالساً في زاويته؟ الموسيقى اليونانية حماسية جداً.

- سيدعو العروس الى الرقص، يا آنسة. هذه هي التقاليد. لكنك لا تقدرين ان ترقصي مع رجل آخر الا اذا سمح لك بذلك.

نظرت هيلدا مندهشة، ثم ابتسمت وقالت:

- آه، وراء الأكمة ما وراءها، على ما ارى...

حذرتها كاترينا قائلة:

- عليك ان تحتفظي بالسر، يا ابنتي. لم يعلن اي شيء رسمياً. الآنسة وثقت بي واعلنت لي الأمر الآن...

صرخت هيلدا قائلة:

- آه، كنت اعرف ذلك! لقد رأيت الشبه مع...

قاطعتها كاترين وقالت في لهجة تهديد:

- اذهبي حالاً الى المطبخ وابدأي بتقشير البطاطا للغداء. الظاهر انك لا تعرفين حفظ السر.

ولما اختفت هيلدا قالت أليس:

- هيلدا غير مخطئة. انا هنا لاحل مكان تمارا. لقد صرت مقتنعة بذلك والجميع يعرفون اذن لماذا التصنع. «الفانوس» بحاجة الى ربة منزل لادارته. والسيد كسندروس غني جداً وقادر ان يدفع ثمن

www.elromancia.com

رغباته. . . في كل حال، الثوب يعجبني وسأرتديه نهار السبت. وشكراً جزيلاً لاعارتي اياه.

ـ هذا فرح كبير، يا آنسة.

كانت كاترينا تنظر الى أليس بقلق كأنها عرفت الحزن المكبوت وراء نظراتها البراقة وصوتها المرتجف.

ولما نزلت أليس على السلم، السبت الموعود، كان ستيفان بانتظارها في اسفله. كان انيقاً ببزته الزرقاء وقميصه الزهري الفاتح. كان اسمر وجذاباً اكثر من العادة. ولشدة انفعالها كادت أليس ان تنسى الدرجات الأخيرة. فمد لها يده لئلا تفقد توازنها وقال:

ـ انتبهي!

امسكها بطرف ذراعيها وتأملها مطولاً، من شعرها المنسدل حتى الخمص قدميها. كان قلب أليس ينبض بقوة. المهم شرط ان يحبها بهذا الزي! ماذا لو اعتبر بأنها حاولت تقليد تمارا والتشبه بها! كانت تتمنى ان يتصرف معها بطيبة وحنان ومحبة كما كان يتصرف مع خطيبته اليونانية الراحلة.

قال بصوت ساخر:

ـ ها، ها. اين الكعكة الضيقة والنظارات؟ كنت ترددين على مسمعي مراراً بانك فتاة صغيرة ومحتشمة وبسيطة! وهذا الصباح تبدين مزينة كريش الطاووس!

تقلصت يد أليس النحيفة في يد الرجل القاسية. كان ينظر اليها بنوع من الاحتقار، كأنه يقول بوضوح ان ما فعلته للتشبه بانسان آخر امر غير مرغوب فيه وعديم الذوق.

ـ هل تريد ان اصعد الى غرفتي واغير ملابسي؟ لم. . . لم اعرف

اذا كنت مخطئة في ارتداء هذا الثوب.

قال بجفاف:

ـ لقد فات الأوان وعلينا الذهاب الآن.

ـ لقد تصورت بأنك ستفرح عندما تراني اشبه بنات ونساء بلدك.

ـ لكنك لست واحدة منهن! انت فتاة انكليزية قررت الزواج منها. لم اطلب منك ابداً ان تتنكري هكذا!

قالت متوسلة:

ـ اذن دعني اغير ملابسي بسرعة. سأكون حزينة طيلة النهار ما دمت لا تحب ثوبي.

ـ يا الهي، كيف تصورت بأنني سأحبك بهذا اللباس الغريب؟ هيا، تعالي والا ستتأخر!

امسكها بخصرها وساعدها على الصعود في عربة الخيل، ثم صعد قربها وراح يقود الحصان. تطايرت الفراشات حولهما وعبق الجو برائحة الازهار العطرة. كانت أليس تفكر بالمستقبل وندمت لانها لم تذهب الى اثينا برفقة الكسندر. زواجها سيجلب لها خيبة الأمل والألم والحزن. الحب ليس كل شيء، خاصة اذا لم يكن مشتركاً.

تلاشت قواها تجاه تصرف ستيفان الجاف والبارد، فظلت صامتة مكتفية بالنظر الى البيوت الصغيرة المطلية بالكلس الأبيض، التي تختفي جزئياً تحت العرائش والنباتات المتسلقة. السماء الليلكية محتجبة بضباب خفيف والحر ثقيل. توقفت العربة امام كنيسة مزينة بالقباب الصغيرة، المصنوعة من حجارة القرميد المدورة والتي تلمع تحت الشمس ببريق نحاسي.

رفع ستيفان أليس ووضعها على البلاط وصرخ قائلاً:

ـ لقد تأخرنا. الجميع اصبحوا في الداخل.

العرس كان غريباً وساحراً بنظر الفتاة الانكليزية. امام المذبح المضاء بالشموع والمزين بالايقونات وقع العروسان. كانت العروس ترتدي فستان العرس التقليدي المطرز وطرحة من الدانتال تصل حتى كاحلها. اما الجو فكان يوحي بأن هذا الزواج يتم عن حب وليس لأن الفتاة غنية وتملك مهراً.

وكان الاكليلان من الازهار البيضاء المتصلة ببعضها بواسطة شريط ابيض حريري. وضعها القس على رأسي العروسين بينما كانا يتبادلان المحابس الذهبية.

ثم قام العروسان بثلاث دورات مع مضيفات الشرف حاملات الشموع المضاءة. وبعد قليل بدأت الاجراس ترن اعنف الرنين. ارتعشت اليس، لكنها لم تجرؤ على النظر الى ستيفان الذي لا شك انه يفكر في مكان بعيد جداً من هنا... وهو مع المرأة التي حلم منذ صغره ان يتزوجها.

ولما خرج العروسان الى باحة الكنيسة. رشقهما الجمهور بالرز والورود. فدعيا الحضور للتوجه الى حانة قريبة حيث مدت الطاولات تحت ظل الصنوبر وزينت بسلال الخبز وزجاجات العصير على مختلف انواعها. وعلى النار الحملان الصغيرة تشوى ببطء. انشغلت النساء في اخراج كل الطعام المتوفر من السلال.

كان مشهداً ملوناً والسعادة تقرأ على الوجوه. وكانت أليس تود ان تشارك هذا الفرح العام، لكن قلبها كان مثقلاً وابتسامتها متقلصة، وهي ترد على تحيات الاشخاص.

بزتها نالت اعجاباً كبيراً. وسألت عمة العروس ما اذا كانت اليس من اصل يوناني لأن الثوب يليق بها تماماً. ولما ترجم لها ستيفان ما قالته المرأة، احمرت كي تخبىء اضطرابها وكي تجد حجة في الاقتراب

منه، فتأبطت ذراعه، لكن قلبها تألم حزناً لردة فعله الباردة وتقصله.

قال لها بجفاف:

ـ لست مضطرة ان تتصنعي بأنك فتاة مغرمة!

وبحركة فجائية، افلتت يدها منه. ما زال يعتقد بانها تمثل. يا لهذا الوضع الشنيع. ولأنها لم تعد تطيق التصنع بالفرح، ابتعدت عنه بصورة آلية...

فجأة وجدت نفسها في طرق الحديقة، تحت الاشجار، امام باب صغير مقنطر، عبرته وعيناها دامعتان. لم تكن تفكر الا بشيء واحد ان تخطط للابتعاد عن جلادها... تقدمت في الممر من دون النظر الى الوراء، بعيداً عن الضجة والضحك.

لم تعد تسمع الا صوت الزيزان في الحقول، الجبل يعبق برائحة خلابة. ثم وجدت نفسها على تلة صغيرة حيث تنتصب طاحونة هوائية قصيرة وعريضة ذات سقف مخروطي واجنحة ثابتة. لا احد يعمل هناك اليوم بسبب العرس. انه عيد للجميع ما عدا أليس المسكينة التي تبتعد عن الحانة بقلب محطم وكتفين يهتزان من البكاء والدمع المريسيل على خديها الشاحبتين ولما وصلت قرب بناء صغير، تمددت على العشب، في ظله.

يا الهي، كم احب ستيفان وكم هذا مؤلم. ملاحظاته الخشنة ونظراته الساخرة وتصرفه العدائي المفتعل، كل هذا عذاب لا مثيل له.

لا، هذا مستحيل لن اتمكن من تحمل كل هذا حتى النهاية. وتذكرت بلادها وشقتها الصغيرة الهادئة حيث كانت تعيش بأمان وسلام قبل اسابيع قليلة.

سمعت فوقها صوت حجارة تتحرك. الحصى يتدحرج على الممر

الضيق الذي يحيط بالطاحونة. التفتت وراءها لكنها لم تر الا اشجار الزيتون بجذوعها المعقودة، الناتئة على سفح التلة ولم تسمع الا النسيم الخفيف يلوح بالاغصان المزهرة.

ومن جديد سمعت صوت ردم وانقاض. لا شك انها عنزة ترعى. نهضت ومدت يداً ناعسة الى جبينها الرطب... عليها ان تفكر في العودة الى الحانة. لن يفرح ستيفان ابداً اذا لاحظ ان ضيفته اختفت من دون انذار.

كانت تمسح عينيها بمنديل مطرز عندما رأت فجأة الحيوان يظهر من بين اشجار الزيتون. تجمد دمها في العروق. انه كلب وسخ ينظر اليها بنهم. وشعرت بأنها اذا قامت بأي حركة سيقفز الحيوان عليها، فظلت جامدة.

اخرجت أليس من جيبها السندويش الذي وضعته من دون تفكير وهي تهرب من ستيفان. وببطء حذر اخرجت قطعة الدجاج المشوي من داخله ورمتها للكلب. لكنه لم يتحرك وظل ينظر الى الفتاة بحذر وعدم ثقة.

فقالت له:

ـ هيا، تعال وكل. انت تموت جوعاً، يا ايها الكلب المسكين. وانا ارى ذلك جيداً.

تقدم الحيوان بحذر، فقالت له بصوت ناعم:

ـ كن لطيفاً. لا اريد ان اؤذيك. والدجاج لحم اطرى مني.

تقدم الحيوان من قطعة الدجاج وهو ما يزال ينظر اليها، ثم وثب على الطعام والتقطه وقذفه الى فمه وابتلعه بلمحة بصر. وهذا ما حل بالخبز الذي رمته أليس بعد ذلك. ولما انتهى من الطعام تقدم بضعة خطوات منها. ماذا سيحدث الآن، ولم يبق معها شيء لتقدمه

للكلب؟

مدت يدها وقالت:

ـ تعال، انت لست شريراً، بل وحيد وجائع. لا احد يحبك، على ما اظن. اعرف بماذا تشعر ايها الكلب الصغير. تريد ان يهتم احد بك، لكنك تخاف ان تشعر بالرفض. اليس كذلك؟ رجموك بالحجارة وقذفوك ضرباً وطردوك من كل مكان فأنت لا تثق بأحد وهذا واضح وجلي. بامكانك ان تأتي معي، فأنا لن اؤذيك. لكنني آسفة فقط فليس معي ما اقدمه اليك. هل انت الكلب المتوحش الذي يتكلم الجميع عنه... الكلب الذي يخيف الماعز؟ اعرف انك كلب طيب... لكنك بحاجة الى المحبة والحنان.

تقدم الحيوان شيئاً فشيئاً، ولمس اصابع الفتاة الانكليزية الممدودة امامه ثم ترك أليس تداعب رأسه المشعث. فجأة اصدر نواحاً حزيناً وتمدد على العشب قرب الفتاة.

سمعت صوتاً وراءها يقول:

ـ يا الهي! يا لهذه المخاطرة!

التفتت أليس نحو الرجل المستعد لنجدتها وقالت بصوت هادىء:

ـ لا تتكلم بصوت مرتفع. هذا الحيوان جائع ومحروم من العطف وعلى استعداد ان يؤذي اي كان... لكن لا يعرف المرء...

رفع الكلب نظره نحو الرجل الغريب، لكنه سرعان ما اعاده الى حضن أليس.

فقال ستيفان:

ـ لا شك انه مصاب بالمرض وعلى جلده تعيش الحشرات التي تمص الدم.

ـ بعد حمام جيد، لا احد يمكن ان يعرفه. هل تسمح لي بأخذه الى المنزل وتقديم الطعام له؟ انه ليس مفترساً، لكنه بحاجة الى الحنان.

سألها بصوت غريب.

ـ هل تفهمين اخيراً بماذا يشعر الكائن الذي لا يحبه احد؟

رفعت أليس نظرها نحو ستيفان مندهشة وانتفض قلبها في صدرها. في وجهه المنحني امامها لمحت تعبيراً جديداً... حناناً مضطرباً، ناعماً، خفف من حدة الأنانية والكبرياء في ملامحه.

ركع قربها وسألها:

ـ لماذا هربت بسبب ما قلته لك منذ قليل... الم تتصنعي...

ـ لم امثل عليك، ابداً يا ستيفان. كنت تعتبرني خبيثة ومرتشية، لكنني، تماماً، مثل هذا الكلب المسكين الذي يتسول سقفاً... وبعض الحب. لن... لن اتحلى بالشجاعة لاتزوجك، يا ستيفان، لا يمكنني ان اعيش مع رجل لا يثق بي.

ـ لا يمكنني ان اعيش من دونك، يا اليسيا اعرف ذلك منذ ان جئت بك الى سوليتاريا. لقد تصرفت مثل نذل الآن. كنت اعتقد انك...

ـ لست تمارا ولا اطيق ان اشبّه بها دائماً. اعرف انك كنت تحبها هي، ولم تكن تحبني...

ـ لكنني احبك حتى الجنون! اقتلك ولا ادعك ترحلين! انت لي، يا اليسيا، ولا يوجد مثلك اثنين. اريد ان اصرح لك بامر ما... كنت اعرف منذ مدة طويلة انك لم تكوني ابداً خطيبة دمسكينوس. لكنني كنت بحاجة الى حجة كي ابقيك قربي...

ـ وكيف عرفت الحقيقة؟

ـ بواسطة الكسندر. لقد سبق وعرفه في عدة حفلات ويعرف

خطيبته جيداً. لقد وصفها لي بأنها شقراء ذات عينين زرقاوين مكحلتين بوقاحة... لا شيء لمقارنته بك، بالطبع!

ـ عندما رأيتني بهذا الزي، تهيأ لي بأنك ستنزعه عني!

ـ لست مخطئة. كنت كالمجنون! تصورت انك تريدين التشبه بتمارا.

ـ لكنك كنت تحبها...

ـ نعم وكنت احترمها الى درجة اني اعتبرتها لا تخطىء. لكن ذلك هو خطأي، فهي لم تكن تستحق كل ذلك. معك، يا حبيبتي وجدت ما يمكن للرجل ان يتمنى، العمق والذكاء والطيبة والرأفة...

نظر الى الحيوان الناعس نظرة لطيفة واضاف:

ـ لكن، اخشى الا يأخذ هذا الحيوان مكاني...

ـ ليس الآن، في كل حال. هل تغار من كلب مسكين جائع حتى الموت!؟

ـ انا جائع، ايضاً. لن ادعك ترحلين ابداً، يا حبي ستبقين معي وساتزوجك سأفعمك بالحلى وبكل ما ترغبين وسأحبك كثيراً الى درجة ستتوصلين الى حبي!

ـ آه يا حبيبي، لكنك لم تفهم شيئاً! فأنا احبك! وستفعل بي ما تشاء. سأكون زوجتك بما في هذه الكلمة من معنى.

همس وهو يلمس شعرها:

ـ زوجتي...

نظر الى الفتاة الجالسة على العشب والى الحيوان النائم وقال:

ـ الآن تمكنت بنجاح من تدجين هذا الحيوان. وتريدين الاحتفاظ به، أليس كذلك؟

ـ حتى الآن، لم اكن اعرف بأنني اتمتع بموهبة خاصة في تدجين

المتشردين...

نظر اليها بمحبة كبيرة وقال:

ـ انت ساحرة، يا حبي!

www.elromancia.com
مـــر مـــور يـــة